ألفريد هتشكوك



لعبة الجريمة

تأليف : ألفريد هتشكوك
ترجمة : محمود مسعود

عدو الشر

لابد انه قد اتضح لكل من راقب الاشتباك الذى حدث تلك الليلة فى بار سام جيسوب من هو الفتى الطيب ومن هو الفتى الشرير ... كان الفيصل الاول فى هذا هو مسألة الحجم ... فان الرجل الأصغر حجمـا هو دائما الضحية ، والناس تقف فى صف الضحية ، فهـو اذن الفتى الطيب ...

كان تشارلز ايمز قصير القامة ضئيل الجسـم شاحب الوجه ، له يدان نحيلتان يصـعب أن يطبقهما على شكل قبضتين فعالتين ، وعينان زرقاوان تطل منهما براءة الاطفال — رغم انه كان فى الثامنة والثلاثين ...

وعلى الناحية الأخرى كان فرانك كاستين له كافة مظاهر الرجل ، أو بعبارة ادق ، مظاهر الغوريلا ... كان ضخم البنية ، عريض المنكبين ، اشـعر الوجه ، غليظ اليـدين ، أفطس الأنف .. وكان الى هـذا كله نارى المزاج ...

ولا يتذكر احد كيف بدأ الاشتباك ، خصوصا تشارلز ايمز ذاته ... فقد جاء الى البار كعادته كل ليلة بعد انصرافه من العمل فى البنك ، وكانت هـذه العـادة لا تتغير ، لانه اعـزب ... وكانت كأس الويسـكى المضاعفة التى يشربها صافية تنسيه متاعب النهـار ومشاق العمل ...

ثم فجأة ظهر فرانك كاستين بهيكله الضخم ، ووقف لدى المنصة الى يمين تشارلز ، وبدأ يشـكو همومه ومتاعبه ...

كان هناك اولا ابنه البالغ من العمر خمسة عشــر عاما : ذلك الصبى التافه الذى قال فرانك فى معرض شكواه انه لا يذاكر فى المدرسة ، ويسىء الى ابويه ، ويقود سيارة الاسرة بغــير رخصــة ... كيف يمكن التصرف مع صبى كهذا ؟ .. تضربه طبعا ــ كما قال فرانك ...

وكان هذا القول هو الذى أثار تشارلز ، اذ رد على الأثر :

ــ لا يجب ضرب الأولاد ...

ولم يكن تشارلز يقصــد بهذا التعقيب ابن فرانك كاستين على وجه الخصوص ، ولكنه تذكر العقوبات البدنية التى كان ينالها هو فى صباه ــ السير الجلدى لموسى الحلاقة فى الحمام يضرب به ضربا مبرحا على عجزه العارى النحيل ...

ولكن فرانك تلقى هذا التعقيب باعتباره موجها اليه شخصيا ... فرمى تشــارلز بنظــرة نارية من عينين محتقنتين ، وقال متوعدا :

ــ من طلب رايك ؟ ..

والارجح أن تشارلز لم يسمعه ... فانه تحت وطأة الذكريات القاسية لصباه طلب كأسا أخرى مضاعفة، واخذ يرتشفها محزونا مكتئبا ...

ثم انتقل فرانك كاستين الى الشكوى من زوجته ... فهى دائما تنحاز الى جانب الصبى ، وتجعل كل شىء يبدو وكأن الذنب فيه ذنب فرانك ، بل كانت تزيد على هذا مضايقته باستمرار ، والتحامل عليه ، وتوبيخه .. فاذا هم فرانك بتأديب الصبى ، اخذت تنخرط فى البكاء ، وتصرخ صراخا هستيريا ... فماذا يفعل الانســان

مع امرأة مثل هذه ؟ .. يضربها هى ايضا ... يضربها كلما ضرب الصبى ! ..

وعندئذ قال تشارلز :

ـ عار عليك ! ..

استدار فرانك مرة ثانية وقد ضاقت عيناه وتقوس كتفاه مهددا وهو يقول :

ـ ماذا قلت ؟ ..

فرد تشارلز ..

ـ قلت : عار عليك ...

كان تشارلز يرى فى هذه اللحظة وجه امه وقد تورم من الرضوض والكدمات ، وكان يرن فى سمعه صوت ابيه السكير وهو ينهال بالسباب واللعنات ...

ولكن فرانك عاد يقول :

ـ ماذا تعرف عن خصوصياتى ؟ ..

فاجاب تشارلز :

ـ اعرف كل شىء ... انا حجة خبير ...

ـ لا تحشر أنفك فى شئونى الخاصة ! ..

كان الشراب المضاعف يجــرى ساخنا فى عروق تشارلز فيلهب شجاعته ويؤجج غضبه ، حتى راح يقول بلجهة خطابية وبصوت أعلى من صوته المعتاد :

ـ لا أحد مستقل بنفسه عن الغير ... كلنا أبناء آدم ... اذا ضربت زوجتك وابنك يا فرانك كاستين ، فــكأنك ضربتنى ... وأنا آمرك أن تكف ... أنت وحش ، شرير ، أســود القلب ... مثلك يجب أن يجلد بكرباج الخيل ! ..

وكان فرانك بدوره قد شرب أكثر من كأس ، وكان بطبعه لا يقبل الانتقاد أو التدخل فى شئونه ... وهكذا تصرف بوحى غريزته ... اذ سرعان ما تكورت يمناه

على شكل قبضة واهوى بها على فك تشارلز ... فدفعته اللكمة كما يدفع المضرب كرة التنس الى الخلف ، وهوى على الأرض مصطدما بمائدة ، وتدحرج الاثنان حتى الحائط : الرجل والمائدة .

ولكن مثلما ترتد كرة التنس ، فقد وثب تشارلز قائما والدم ينزف من قطع فى شفته ... ورغم ذلك فما كاد يقف على قدميه حتى تحفز للهجوم على فرانك ..

كان فى الحانة وقتها نفر من الرواد ... فاعترض اثنان منهم طريق تشارلز وأمسكا به ... وارتمى الآخرون على فرانك ... وظل الموقف برهة متأرجحا ؛ خصوصا ازاء اصطدام الغريمين اللذين كان كل منهما يحاول الهجوم على الآخر ...

ولم يلبث سام جيسوب صاحب البار وهو رجل ضخم الجثة أحمر الوجه أن صاح من خلف البار مهتاجا يتوعد الاثنين معا :

ــ سوف استدعى البوليس ! ..

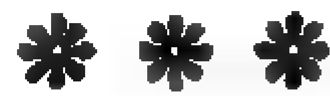
وتعزيزا لوعيده رفع بيديه زجاجتين فارغتين ولوح بهما مهددا كأنما يوحى بانه لن يتردد فى كسر الرءوس اذا تعرض مشربه للضرر ... وفعلا افلح سام جيسوب فى تهدئة الموقف ، اذ قال فرانك وهو يسوى ملابسه بعد أن تخلت عنه الأيدى :

ــ لا بأس ... لكن قولوا لهذا الحقير أن يبتعد عن طريقى ...

ثم سار الهوينا خارجا ...

وتقدم سام ورواد البار الى تشارلز يساعدونه ، ولكنه رفض باباء ... واكتفى بان مسح الدم الذى سال على ذقنه ، وأكد لهم انه لم يصب باذى ... وبقى فى البار فترة أخرى شرب فيها أكثر من حصته

المعتادة ... لقد ألهب الشراب جرح شفته ، لكنه لم يكد يشعر بالألم ... اذ الهبه فى أعماقه جرح آخر أشد ايلاما ... واضطرمت بين جنبيه مشاعر غريزية ان كان منها مشاعر الخذى والنقمة على فرانك كاستين، فقد كان منها أيضا ما ينصب على الموتى من ذويــه .. وكذلك اضطرمت فى نفسه رغبة فى الانتقام ... واذا كان أولئك الموتى لا تصل اليهم الآن يداه بالانتقام ، فان فرانك كاستين لابد أن يكون هدف انتقامه ...



وكان القدر ، وليس التدبير والاستعداد ، هو الذى جمع بين الغريمين مرة ثانية ...

لم يسع كلاهما الى الآخر ... بل ان فرانك كاستين كان يمكن ان ينسى الحادثة كلها ... ولم يكن يخامر تشارلز أكثر من أحقاد عارضة ، دون أن تكون لديه القدرة على وضعها موضع التنفيذ ...

وهكذا كانت المصادفة البحتة هى التى أوجدتهما وجهاً لوجه فى ليلة مظلمة بعد أسبوع ...

وطبيعى انه فى بلدة صغيرة كهذه كان محتملا أن يتلاقيا فى وقت ما ... لكن ليس بالضرورة وكل منهما وحده ... وليس بالضرورة فى ظلام الليل ... وليس بالضرورة وتشارلز فى طريقه الى مسكنه عائدا من البار بعد أن شرب أكثر من المعتاد ، وبعد أن صار ذلك مسلكه فى العهد الأخير ...

لقد وقف كل منهما على بعد خطوات من صاحبه على الافريز ، وقد عرف كلاهما الآخر بالغريزة أكثر مما عرفه من ملامح الوجه ... وظلا يتبادلان نظرات شزراء برهة طويلة ...

وفى النهاية قال فرانك :

ـ هل عندك نصائح أخرى لى يا حقير ! ..

انكى هذا الكلام رغبة الانتقام فى صدر تشارلز ، خصوصا مع حرارة الشراب الذى احتساه فى البار ... لكن ذرات من الحكمة خالطت هذا الاحساس ... فقد كان يعرف انه ليس ندا لفرانك ... وكان فكه لايزال يؤلمه من اثر لكمته فى الاسبوع الماضى ... ورغم ذلك لم تتغلب عليه الحكمة بحيث يرد ردا مسالما ... اذ قال :

ـ مازلت عند رايى فيك ...

بدأ فرانك يتقدم متمهلا نحو تشارلز بقوام وحركات غوريلا ... وقد صمد تشارلز فى مكانه مدى ثانية أو ثانيتين ... ثم تغلبت عليه الحكمة وأيقن انه مهما يكن من تعطشه للانتقام ، فانه لن يستطيع اطفاء هذا العطش فى اللحظة الحاضرة وفى ظل هذه الظروف ... وهكذا استدار وجرى هاربا .

وكان يمكن أن يرضى هذا التراجع المفاجىء فرانك .. لكن لم يحدث هذا ... وارتاع تشارلز عندما اسمع وقع قدمى فرانك الرنانتين من خلفه ، وأذكى الرعب من قوته حتى زادت سرعته فى الجرى ... وتذكر وقتها انه كان يجرى هكذا منذ عهد بعيد تحت وطأة المطاردة ....

وأخذ عقله يعمل الآن بالمكر الغريزى والآلى لحيوان أو طفل ... فانعطف بعد الناصية الى اليمين ... وعندما انعطفت الخطوات فى اثره أيضا راغ الى حارة كانت أشد ظلاما ... ولكن الخطوات المطاردة كانت تلاحقه ...

لم يلبث تشارلز ان ترك الحارة وأخذ يسلك سلسلة

من الأفنية الخلفية ونظرا لليونة الأرض فانه لم يعد يسمع وقع الخطوات ... لكنه لم يجسر على التوقف للتأكد مما اذا كان فرانك لا يزال يطارده ... وغمره رعب جديد هو الذى يتولد من الشك والتردد ...

ولكن فى هذه اللحظة تدخل القدر مرة أخرى ... فقد لمح أمامه سورا منخفضا مدهونا بالطلاء الأبيض ... وكان الوثوب فوق السور فوق طاقة انسان فى بنية تشارلز ... لكن كان لابد له من هذا والا اضطر الى التراجع ... وهكذا وثب ، وهو لايدرى كيف وثب ... لكنه لم يبتعد اكثر من ثلاث او أربع خطوات عن السور حتى يسمع صوت السقطة القوية خلفه ... وفى هذه المرة توقف واستدار ...

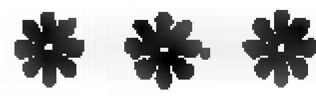
كان ثمة ضوء قمر يسير سمح له بتمييز ما حدث .. فقد حاول فرانك أن يقوم بنفس الوثبة فوق السور ، ولكن أعوزه اما خفة تشارلز او حسن حظه ... وانخلعت من السور بضعة ألواح لاصطدام قدم فرانك بها بشدة ، وهوى على الأرض منبطحا على وجهه ، مشدوها فيما يبدو من أثر السقطة ...

وقف تشارلز ايمز جامدا برهة وهو يشهق وقلبه يدق عنيفا ... وجعل ينصت وينظر حواليه ... كان ثمة صفان من البيوت عن الجانبين ، والأنوار منبعثة من بعض نوافذها ... لكن لم يبد أن احدا من سكانها قد تنبه الى المطاردة التى كانت دائرة خلال الأفنية ، أو حتى الى السقطة اثر اصطدام فرانك بالسور ... لم يكن ثمة صوت سوى الخفقان العنيف المنبعث من قلب تشارلز ورئتيه ...

سرعان ما اتخذ تشارلز قراره بعد اطمئنانه الى ما حوله ... لم يتردد ولم يتساءل ... الآن وقد

أصبح عدوه عاجزا : فليكن الانتقام ناجزا ... ان فرانك كاسيدى رجل شرير ... وهو يريد شرا بأسرته . بل بشارلز نفسه . اللهم الا ...

تعددت عيناه بسرعة جوانب الفناء بحثا عن اداة مناسبة ... واذا هى فى متناول اليد ... صخرة بين صخور كثيرة نحف بحوض ازهار ... وسرعان ما انحنى تشارلز ورفعها ... وسار بها الى كيان فرانك الطريح المتنفس .. ثم رفعها وسددها .. واخيرا القى بها .. وعلى اثر ذلك سار عائدا الى بيته ...



استيقظ تشارلز فى اليوم التالى وهو احسن حالا .. فتناول افطارا شهيا ، وسار الى البنك كعادته ...

وقد حيا زملاءه ببشاشة ، وعند مروره بمكتب مدير البنك حيث كان المدير نفسه مستر سيدنى لينكر واقفا لدى الباب يراقب توافد الموظفين ، حياه تشارلز بايماءة من رأسه كعادته قائلا :

ــ صباح الخير يا مستر لينكر ....

ــ صباح الخير يا تشارلز ...

كان المدير رجلا بدينا منفوشا يلبس نظارة بغير اطار ، وقد راحت عيناه الضيقتان تتصفحان من خلف زجاج النظارة هيئة تشارلز بدهاء ، وقال له :

ــ هل أنت على مايرام اليوم يا تشارلز ؟ ..

تجهد تشارلز ... ورد قائلا :

ــ طبعا يا مستر لينكر ... ولم لا أكون ؟ ..

ــ وصلتنى اشـــاعة تقول انك أصبحت تكثر من الشراب فى الأيام الأخيرة يا تشارلز ...

كان ارتياح تشارلز بالغا : حتى انه تكلف الابتسام قائلا :

ـ الحقيقة اننى آخذ كأسا اضافية بين وقت وآخر ... لكن ليس ابدا الى الحد الذى يؤثر على عملى هنا فى البنك يا سيدى ...

لم يبتسم سيدنى لينكر ، لكنه خفف من غلوائه قليلا وقال :

ـ لا بأس ... هذا هو الشيء المهم ...

ثم استدار المدير واختفى داخل مكتبه ...

قال تشارلز فى نفسه : يالله من فظ سواق للعبيد ! .. كل ما يهمه هو العمل ، ولا شيء ، غير العمل ! .. ولن يتردد أن يطردنى فى اللحظة التى يتأثر فيها عمله ! ...

كانت هذه صورة سيدنى فى خيال تشارلز عندما جاء توم مادين فى الساعة التاسعة والنصف ودخل الى مكتب المدير ...

كان توم مادين هو رئيس البوليس المحلى ، وقد ادرك تشارلز سبب حضوره ... فبعد لحظات خرج الرجلان من مكتب المدير ، وأشار لينكر بيده الى ناحية مكتب تشارلز ...

جلس تشارلز ساكنا برهة بينما كان توم مادين يتقدم منه ... وكان توم رجلا مليء الجسم ، أشيب الشعر ، بادى الطيبة ، ولكنه بدا متجهما هذا اليوم .. وقال وهو يجذب مقعدا ويجلس بجانب تشارلز :

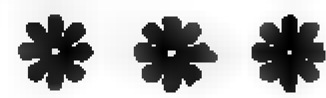
ـ صباح الخير يا تشارلز ...

ـ صباح الخير يا توم ... اية خدمة اقوم بها ؟ ..

قال تشارلز هذا بصوت هادىء برىء ... فقال توم وهو يتفرس فيه طويلا بامعان من خلف نظارته :

ـــ أين كنت فى الليلة الماضية يا تشارلز ! ..
ـــ أمضيت فترة فى بار سام جيبسوب ... لماذا ! ..
ـــ ألم تشاهد فرانك كاستين ؟ ..
طالما ساءل تشارلز نفسه كيف يرد على مثل هذا السؤال اذا وجه اليه مباشرة .. ولكنه الآن قال بنعومة وبغير تردد :
ـــ لا ...
ـــ ان فرانك كاستين مات مقتولا فى الليلة الماضية ... ووجدت جثته فى فناء منزل ... ان أحدهم هشم جمجمته بصخرة ..
تمهل تشارلز لحظة مناسبة قبلما رد قائلا :
ـــ وهل تظن اننى فعلت هذا يا توم ؟ ..
ـــ الجميع يعرفون ذلك الاشتباك الذى وقع بينكما فى الاسبوع الماضى يا تشارلز ...
ـــ سأقول لك شيئا يا توم ... اننى غير آسف لمقتل فرانك كاستين ... لـــكن هل تتهمنى بارتكاب الجريمة ! ..
تململ قدم مادين وادار النظر حوله برهة ... فان اتخاذ المتهم جانب الهجوم نال من أعصابه قليلا ... ولم يلبث تشارلز أن تابع هجومه قائلا :
ـــ انت وأنا يا توم صديقان منذ مدة طويلة ... ولهـــذا أرجو أن تصارحنى ... هـــل تظـــن اننى الفاعل ! ...
طرف توم بعينيه برهة ، وفى النهاية ارتد بنظره الى تشارلز وقال بابتسامة استسلام :
ـــ لا ... حقيقة ... أنا آسف يا تشارلز ... بل ما كان يجب أن آتى الى هنا ... فلست أنت الرجل الذى يرتكب جريمة قتل ..

ونهض توم مادين وقال وهو يمد يده :
ـــ لازلنا أصدقاء . أليس كذلك ؟ ..
فقام تشارلز بدوره ، وتناول يد رئيس البوليس قائلا :
ـــ بالتأكيد ... ولم لا ؟ ...
وظل تشـــارلز واقفا يراقب رحيل توم ... قال لنفسه : « انه يصدقني الآن ... لكن ماذا سيكون رأيه اذا لم يظهر له متهم آخر ؟ ... الأرجح انه سيعود الى الشك فى أمري ...
لكنني غير آسف ... فقد سنحت لى الفرصة للقضاء على مخلوق شرير ، فانتهزتها ... ولو سنحت مرة ثانية ، لانتهزتها أيضا ... » ! ..



جلس تشارلز ايمز الى مكتبه فى البنك وأخذ يحدق فى الأوراق التى سلمت اليه لانجازها ... كانت العملية خاصة بانتزاع ملكية العقار الذى رهنته أرملة مسنة فى الثانية والستين من عمرها ، تدعى مسز ايرنشو لتخلفها عن دفع الأقساط المطلوبة منها بسبب ضـــيق ذات اليد ...
ولابد انه جلس هكذا جامدا فترة طويلة لا يفعل شيئا سوى التحديق فى الأوراق ... لانه لم يبصر ولم يسمع شيئا آخر الى أن دوى صوت مستر لينكر رئيس البنك فى سمعه :
ـــ ماذا جرى يا تشارلز ؟ ... العمت على ما يرام هذا الصباح ؟ ..
انتفض تشـــارلز وتطلع ليرى رئيسه واقفا فوق رأسه ، وقد بدا هذا الصباح منتشيا مزهواً ، وشبك

يديه فوق بطنه المكور - ويبرز من بين شفتيه سيجار غليظ ... فى الماضى كان مشهد هــذا الوحش وهو يحوم حول مكتبه كفيلا بأن ليقى الرعب فى قلب تشارلز ... أما الآن فلا ...

رد تشارلز قائلا :

ــ ان منزل مسز ايرنشو لن يساوى فى السوق ما يكفى لتغطية المبالغ المطلوبة منها عن رهن المنزل ... لكن اذا منحناها فرصة ، فربما وجدت طريقة لدفع الأقساط على فترات ... ما الذى نخسره من هــذا ؟ ...

كاد السيجار ينفجر بين شفتى سيدنى لينكر ، الذى ردد الكلام قائلا :

ــ ما الذى نخسره ! ... نخسر سمعتنا كمؤسسة مالية ، ونصبح مؤسسة خيرية ! ..

ثم انحنى فوق مكتب تشــارلز وقال بلهجة اكثر نعومة :

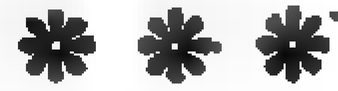
ــ أظنك كنت فى ذلك البار أيضا فى الليلة الماضية ؟.. لابأس ... اذا كنت تلتقط مثل هذه الأفكار الجنونية من ذلك المكان ، فأقترح عليك اما أن تكف عن التردد هناك كل ليلة ، أو تكف عن الحضور الى هنــا كل صباح ! ..

واعتدل مستر لينكر وهو فى أتم الرضى عن نفسه وقد بدا أكثر انتفاخا وانتشــارا ... أما فى ذهن تشارلز فقد أخذت الصور تتعاقب وتختلط والشخصيات تتوارد وتتشـابك ... فقد تذكر تشارلز رئيس بنك آخر عرفه منذ عهد بعيد جدا ، وامرأة أخرى هى أمه ، لا مسز ايرنشو ... لم تكن بريئة مثل مسز ايرنشو ، ولكن مع ذلك ...

وجد نفسه يقول بصوت مرتفع :

ـ لا يجب أن نطرد الناس من بيوتهم ! ..

لم يكن مستر لينكر من طراز رجل آخر هو فرانك كاستين ... ولعله كان أكثر تبصرا وفهما ... وربما رأى فى ملامح تشارلز ما لم يره فرانك كاستين ... فانه لم يلبث أن تراجع بغير انتظام ، ثم استدار فى غير وقار ولاذ بمكتبه ... ولم يحاول أن يضايق تشارلز فى أى شىء بقية اليوم ...



جلس تشارلز ايمز الى مكتبه فى صباح اليوم التالى وجعل ينتظر ... ولكن الغريب فى الأمر هذا الصباح بالذات ان سائر الموظفين لم يجلسوا الى مكاتبهم مثله كانوا جميعا يتنقلون هنا وهناك جماعات ، وهم منهمكون فى الحديث والهمس ... ولم يكن بينهم من كان يعمل ..

والسبب الرئيسى لذلك هو أن مستر سيدنى لينكر لم يظهر فى البنك هذا الصباح ، ولم يقف بباب مكتبه لتحية الموظفين لدى وصولهم الى البنك .. والسبب الثانى هو انه فى الساعة التاسعة والنصف ، جاء توم مادين رئيس البوليس بصحبة أثنين من رجاله فى الزى الرسمى ، واعلن ان مستر لينكر وجد مقتولا ...

كان ذلك اذن هو سبب الضوضاء غير العادية ... ولم يلبث توم مادين أن أخذ مفتاحا ودخل الى مكتب لينكر ... ثم تكلم فترة مع سكرتيرة لينكر ... ثم تكلم مع آخرين من موظفى البنك ... وجلس تشارلز الى مكتبه ينتظر دوره ...

وجاء دور تشـــارلز حوالى العاشرة والنصف أو الحادية عشرة ... ولما لم يكن من الممكن مباشرة

اي عمل فى البنك هذا اليوم ، فقد قيل للموظفين انه يمكنهم الانصراف ... وهكذا خفت الضوضاء الى حد ما ... وفى النهاية يمم توم مادين شطر مكتب تشارلز بهيئة من يقوم بمهمة ثقيلة على النفس ، وتهالك فى مقعد الى جانبه ...

قال تشارلز :

— هل من خدمة اقوم بها ؟ ..

— اين كنت فى الليلة الماضية يا تشارلز ؟ .

— توقفت فى بار سام جيسوب ...

— هل ذهبت الى اى مكانٍ آخر قبل عودتك الى المنزل ؟ ...

— اى مكان مثل ماذا يا توم ! ..

— انني سألتك : هل ذهبت الى اى مكان آخر ؟ ..

— لا ...

— هناك شخص زار سيدنى لينكر فى بيته فى وقت متأخر فى الليلة الماضية ... ولابد ان يكون شخصا يعرفه سيدنى ، لأنه سمح لهذا الزائر بالدخول ... وعندئذ ضرب هذا الزائر مضيفه على رأسه بثقالة ورق كانت فى غرفة المكتبة ...

— لا يمكن أن أقول انني آسف لموت سيدنى لينكر ..

عض توم مادين شفته السفلى ، قائلا :

— من الغريب يا تشارلز انه فى كل مرة يقتل فيها احد فى البلدة ، يكون دائما شخصا لا تأسف لموته ! ..

لم يبد على تشارلز انفعال ... بل انه لم يشعر بأى خوف ... وقال :

— ان لى رأيى الخاص فى الناس ، ولا استطيع الا ان اعبر عن هذا الرأى ...

تململ توم فى مقعده ، ومال نحوه قليلا وهو يقول :

ـ حدث بالامس ان سيدني لينكر أملى على الموظف المختص مذكرة طلب فيها فصلك من البنك ...

فقال تشارلز :

ـ فكرت فى انه قد فعل هذا ...

ـ لكن لماذا كان ينوى فصلك ! ..

فنظر الى توم صراحة وأجاب :

ـ لقد اختلفنا بشأن تصفية منزل مرهون ... اسمع يا توم ... لعلك تظن اننى قتلت سيدنى بسبب العمل فى هذا البنك الفاسد ؟ ...

لكن توم لم يسهل زحزحته هذه المرة ، وقال :

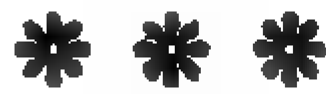
ـ لو كنت مكانى يا تشارلز ، فما الذى كنت تظن ؟..

ـ هل عندك أى دليل يا توم ؟ ..

ـ ولا شبه دليل ..

ـ اذن بامكاننا أن نظل أصدقاء يا توم ، الى أن تجد الدليل ...

لكن توم مادين لم يمد يده مصافحا هذه المرة ، كما فعل من قبل ...



اعطى البنك مهلة شهر لتشارلز قبل تنفيذ أمر الفصل ، ولكن بدلا من أن يتقاضى مرتبه عن هذه المدة كما هو حقه ، فانه مضى يزاول عمله فى البنك نهارا ... وفى المساء يتردد على بار سام جيسوب لمعاقرة الشراب ، فينفق مرتبه هناك .

وقد علق سام أمر الفصل قائلا :

ـ يا للقذارة والعار ! .. كان يجب عليهم فى البنك الا يهتموا بالأمر الذى أصدره سيدنى لينكر قبل موته ...

فقال تشارلز بهدوء :
ــ كانت هذه رغبته الأخيرة فى الدنيا ... وهي تعتبر فى حكم المقدسة ...
وعندئذ انتقل سام الى نقطة أخرى ، فقال :
ــ ما الذى ستفعله لتدبير ثمن الويسكى عندما تصبح بلا عمل ؟ ..
فأجاب تشارلز :
ــ انني لم أفكر فى هذا ! ..
ــ لا بأس ... خير لك أن تفكر فيه منذ الآن ... لقد أصبحت معتادا على الويسكي ...
ــ سام ... تقصد انك بعد كل هذه السنوات التى كنت فيها زبوننا طبعا ، لن تتحملنى مرة أخرى ؟ ..
كان هذا السؤال بمثابة نكتة فى نظر سام ... فقد أمال راسه الى الوراء وانطلقت من جثمانه الضخم ضحكة عميقة مدوية ... ثم قال بعد أن استوفى حظه من الضحك :
ــ اسمع يا تشارلز ... أنا لا أزاول هذه المهنة طلبا للصحة والاستجمام ! ..
حدق اليه تشارلز برهة ... انه لم ير من قبل سام جيسوب فى الضوء الذى رآه فيه الآن ... وقال له برقة وهدوء :
ــ وما سبب مزاولتك لهذه المهنة اذن ؟ ..
فأجاب سام بابتسامة عريضة :
ــ انني أعمل لكسب العيش يا بني ...
ــ ولا يهمك كيف تكسب عيشك ؟ ..
ــ ما قصدك من هذا الكلام ؟ ..
ــ لا يهمك الناس الذين تقدم اليهم الويسكى ؟ .. لا يهمك أحوالهم ؟ ..

ــ لا يهمني يابني الا ما يدفعون ...
ــ ولا يهمك ماذا يفعل الويسكى بهم ! ...
ــ لا وحق جهنم ... هي مشكلتهم وحدهم ... ان كل من يحضر الى هذا المكان بالغ سن الرشد ...
كلا ... قال تشارلز لنفسه انهم ليسوا جميعا فى سن الرشد ... فقد تذكر صورة أخرى من الماضي .. بار آخر ولكنه لا يختلف كثيرا عن هذا البار .. وصاحب البار لا يختلف كثيرا عن سام ... وصبى يدعى تشارلز كان يتردد كثيرا على ذلك البار للبحث عن ابيه ــ لكي يسمع صاحب البار يقول له : أنت مجنون يابنى اذا خطر لك انني سأساعدك فى اخراج أبيك من هنا ! طالما ان معه ثمن المشروب ، وفى قدرته أن يقف على قدميه ويشرب ! ...
أفاق تشارلز من ذكرياته ليقول لسام جيسوب :
ــ الويسكى شيء شرير ....
فمضى سام فى ابتسامة قائلا :
ــ اننى أدرى بالويسكى ! ..
والناس الذين يبيعونه أشرار أيضا ... الواجب أن يطردوك من البلدة ...
كان سام يحب المزاح الى أبعد الحدود ، الا فيما يمسه شخصيا ... فسرعان ما تلاشت ابتسامته ، وقال :
ــ اسمع يا تشارلز ... اننى غير محتاج الى نقودك الى الدرجة التى تجعلنى أستمع الى كلامك الفارغ ! ..
فصاح تشارلز قائلا :
ــ يجب الا تكسب المال من بلايا الناس ، وأخطاء بنى آدم ! ...
وعندئذ خرج سام جيسوب من خلف البار ، ويمم

شطر تشـــارلز ووضع يـــده على كتفه ورافقه حتى البـــاب ...

* * *

راح تشارلز ايمز ينتظر مرة أخرى ، ولكن انتظاره هذه المرة كان فى غرفته الصغيرة ...

لقد سمع وقع الأقدام التى تصعد السلالم ، وعرف ان القادم هو توم مادين رئيس البوليس المحلى ..

وعندما سمع طرق الباب نادى :

ــ ادخل يا توم ...

كان القادم هو توم مادين ما فى ذلك شك ... ولكن وجهه كان متجهما ممتقعا ... وقد ركز نظراته الصارمة فى وجه تشارلز قائلا :

ــ حدثت مناقشة حامية بينك وبين سام جيبســـوب منذ ليلتين ... وفى الليلة الماضية كان سام وحـــده فى البار بعد موعد الاغلاق ... فجاء أحدهم وقذف المكان بأصابع ديناميت .... وقد تحطم البار وقتل سام ... فهل أنت مسرور لموته يا تشارلز ؟ ..

فأجاب صراحة :

ــ لا اشعر بأسف ...

ــ اذن يحسن أن تأتى معى يا تشارلز ...

ــ الى أين ؟ ..

ــ الى السجن ...

ــ هل عندك دليل على اننى قتلت سام ؟ ..

ــ ليس عندى أقل دليل ... لكننى أشعر فى قرارة نفسى انك قاتله ... وهكذا لابد لى من التحفظ عليك يا تشارلز ... سأفكر فى التهمة فيما بعد ...

نهض تشارلز وارتدى سترته ، وقال لتوم :

ــ أنت تظننى مجنونا ... أليس كذلك يا توم ؟ ..

فخفف توم مادين من تجهمه الى حد ما ، قائلا :

ــ اننى لست طبيبا نفسانيا ... ربما استحق فرانك كاستين ان يموت ... وربما استحق الموت أيضا سيدنى لينكر وسام جيسوب ... لكنك لست القاضى الديان يا تشارلز ... لا أنت ولا أنا ! ..

* * *

جلس تشارلز ايمز وحده فى الزنزانة ينتظر ، دون ان يعرف أى شىء ينتظره ... وقد أخبره توم ان بامكانه استدعاء أحد المحامين ، لكنه لم يدر سببا يدعو الى ذلك ... ثم اغلق عليه توم باب الزنزانة وتركه ...

كان سجنا صغيرا ، ولم يكن يشتمل على أكثر من زنزانتين أخريين .. فكانت احداهما خالية ، ولكن الثانية كان بها نزيل لم يتعرف تشارلز عليه ، اذ كان نائما ، ولعله مخمور ...

وكان يمتد أمام الزنزانات زواق يفضى الى حجرة كبيرة فى الجانب الأمامى للمبنى ، بها عدة مكاتب ... وكان باب هذه الحجرة مفتوحا ، وكان بوسع تشارلز أن يسمع أصواتا صادرة منه بين آونة وأخرى ...

لكنه لم ينصت كثيرا الى الأصوات ... فقد كانت أفكاره الخاصة رفيقه الأوحد ، وكان يريد أن يطلق العنان لتفكيره ...

كان يعرف انه ليس بالمجنون ... فان الجنون فى العرف المدنى أو الجنائى هو الا يعرف الانسان الفرق بين الصواب والخطأ ... وهو يعرف هذا حتما ... وهو يعرف أن فرانك كاستين وسيدنى لينكر وسام جيسوب كلهم أشرار ... ولهذا قتلهم ...

لكن كلا ! .. كانت القضية هى ما اذا كان تشارلز ايمز له الحق فى الحكم على هؤلاء الرجال وعقابهم ...

هذه هي نقطة الخلاف بينه وبين توم مادين ... ولكن المشكلة هي أن توم لا يعرف ما هو الشر حقيقة ... انه لا يفهم طبيعته ... ولم يتهيأ له أن يرى الشر نافذا مثلما تهيأ لتشارلز ...

كلا مرة أخرى !.. لقد انتهى تشارلز من تفكيره الى أنه غير آسف على ما حدث ... فالانسان عندما يرى الشر ماثلا أمامه ، عليه أن يدفعه ويقضى عليه ... هذا شيء لاهوادة فيه ولا مهادنة معه ... لكل شر عقابه ، والعمل الشرير لابد من استئصاله وتجريده من كل قوة لافراز مزيد من الشر والأذى ... اينما يكون الشر ... وكيفما يكون صاحبه ! ..

وعندما انتهى تشارلز من خواطره الى هذه النتائج، وارتدت الى عقله سكينته وصفاؤه ، بدأ ينصت الى الأصوات المنبعثة من الواجهة الأمامية ... ولكن ربما كان السبب أيضا هو أن هذه الأصوات كانت جديدة فى سمعه ، وعالية ...

كان أحد الأصوات يصيح ، وكان صوت صبى :

ــ دعينى أذهب ! .. دعينى أذهب ! ..

وكان الصوت الآخر صوت امرأة باكية مستعطفة :

ــ جوى ! .. جوى ! ..

فجاء صوت الصبى يقول :

ــ لا فائدة لك من هذا ... سأهرب من جديد ... سأستمر أهرب وأهرب ... لا يهم كم مرة يعيدوننى لاننى سأهرب كل مرة ... لا أريد ان اعيش معك !..

فعادت المرأة الباكية المبتهلة تقول :

ــ جوى ! .. جوى ! .. انت كل ما بقى لى ... لا يمكن ان تتركنى وحيدة يا جوى ... انا محتاجة اليك ! ...

لم يتمالك تشارلز ايمز ان صم اذنه بيديه ليبعد عنهما الاصوات الصارخة الشنيعة ... لكن بعد فوات الاوان ... فقد سمع اكثر من اللازم ... واخذت عجلات ذاكرته تدور بعنف مثيرة كوامن الذكريات من جديد ...

ترددت فى أعماق ذاكرته اصوات تهتف :

ـ تشارلز ... تشارلز ... انت كل ما بقى لى ... لا تتركنى بالله ! ..

ـ لا أريد ان ابقى هنا ... لماذا لا تتركيننى وحدى ؟ .. دعينى اذهب ! ..

وتحت وطأة الذكريات راح يدق صدغيه بقبضته .. لكن الاصوات الداخلية لم تتوقف ... ولم تشأ الذكريات ان تفارقه ... بل كانت تزيد الحاحا وتكرارا ، واتهاما ...

ـ لكننى فى الحقيقة لم اتغيب طويلا يا خالتى ... ربما ...

ـ لم تتغيب طويلا يا تشارلز ؟ .. ان ثلاث سنوات مدة طويلة ... طويلة جدا ... على الأقل كانت هكذا فى نظر أمك ...

ـ لكن لماذا لم تتصل بى وتبلغنى ؟ .. لوفعلت لعجلت بالعودة ...

ـ وكيف كان يمكنها أن تفعل يا تشارلز ؟ .. بعد الكيفية التى ابتعدت بها ...

ـ لكن لماذا فعلت هذا بنفسها ؟ ... لماذا يا خالتى ؟ .. لماذا ؟ ..

ـ بعد ان عاملها ابوك تلك المعاملة ... وبعد ان هجرتها أنت ... ما الذى بقى لكى يربطها بالحياة يا تشارلز ... ؟

جعل تشارلز ينظر حواليه زائغ البصر ... لقد سدت دونه المنافذ واخذت عليه كافة السبل ... لم يعد هناك مهرب من هذه الاصوات التى ظلت تهدر فى راسه ... ولم يبق الا ان يواجهها مواجهة فاصلة ، ويضع حلا نهائيا لها ...

* * *

كفكف توم مادين جبينه وهو يتنفس الصعداء ...

لقد افلح اخيرا فى عقد نوع من الهدنة بين الأم وابنها وتركهما ينصرفان ... لكن كان يشك فى حل المشكلة حلا يقدر له الدوام ...

وقال لمساعده :

ــ يا له من ابن لعين ... اننى ارثى لهذه المرأة المسكينة ... كانت تلقى معاملة سيئة طول حياتها ... لا أدرى لماذا لا تستقل بنفسها بعد كل ماذاقته ! .. لقد استراحت من زوجها ... والابن ليس افضل من أبيه ... وما كان يجب أن تطلب منا اعادته اليها ... تأكد ان جوى كاستين سوف يسبب لأمه كثيرا من المتاعب قبل وقت طويل ! ..

ونهض توم من مقعده ، واضاف وهو يهز كتفيه :

ــ يحسن أن اذهب الآن لأرى ماذا يفعل صاحبنا تشارلز ...

واتجه الى اماكن الزنزانات ...

لم يكن بحاجة الى ان يتقدم كثيرا ... فقد كان بامكانه ان يشاهد جثمان تشارلز ايمسز من المدخل المؤدى الى الرواق ... لقد ذكره هذا المشهد بدمية من الخرق معلقة من رقبتها فوق مشجب على الحائط ..

ولم يتمالك رئيس البوليس ان قال بنفسه :

ــ مجنون ... كان رأيى فيه دائما أنه مجنون ! ..

المنحوس ...

كازينو البلدية فى مدينة نيس بفرنسا مبنى عتيق يشبه تلك المبانى الغريبة التى تظهر فى افلام الرعب السينمائية ... وما اقصد ان اقوله هو انه ربما كان منذ مائة سنة يضم صالات للموسيقى الكلاسيكية والحفلات الرسمية ... اما اليوم ؛ فان الطابق العلوى يضم الكازينو نفسه وملهى ليليا صغيرا ومطعما فاخرا ... ولكن الطابق الارضى كله عبارة عن صالة ضخمة معتمة كئيبة ، تقسمها ستائر كثيفة عتيقة مدلاة من السقف الشاهق ... وتقع فى الخلف غرفة (البولا)، وهى لعبة الروليت للفقراء ، وارقامها تجرى من واحد الى تسعة ، وتستخدم فيها كرة مطاط عادية ،والمراهنات بنسبة سبعة الى واحد ... ويمكنك الدخول دون ربطة عنق ، وحتى بالبنطلون القصير ...

ولكى اقدم لك فكرة عما وصل اليه سوء حظى ، فاننى بدأت زيارتى للكازينو بالاتجاه الى غرفة البولا ؛ ولكننى ضللت الطريق ... صحيح اننى اسرفت فى الشرب على الطريقة الفرنسية ؛ ولكننى لم ابلغ حد السكر .. ولما اشعلت عود ثقاب الفيتنى فى ممشى ترب تظلله ستائر ، وسمعت اصواتا على مبعدة من مكانى ... وبعد ان اشعلت عودا آخر لان لهب العود الأول احرق اصابعي ، لمحت بابا صغيرا ، ففتحته ، واذا انا عن كثب من غرفة البولا ؛ ولم يكن يفصلنى عن اللغط المنبعث منها سوى ستار عتيق آخر ...

وعندما نظرت من خلال فتحة فى الستار ، رأيت غرفة (البولا) أمامى فعلا ، ولكن لم يكن هذا مدخلها ،وانما وجدتنى خلف المكتب الذى يجلس اليه الصراف ...

عدت ادراجى صامتا ، وقمت بدورة اوصلتنى الى المدخل الأمامى لغرفة البولا ... فدفعت رسم الدخول، ولكننى لم اجد زميلى فرانكى بالغرفة ، وان كنت لم أتوقع رؤيته ... وقد لعبت ببضعة فرنكات ، وخسرت كالعادة ... وكان الاسراف فى الشراب قد جعلنى اشعر بشىء من الغثيان ، وهكذا عدت الى غرفتنا بالفندق ، ولكننى لم أجد فرانك فى الغرفة أيضا ، وهو ما زاد من ضيقى ...

كنت انا وفرانكى عصر هذا اليوم على الشاطىء الصخرى نتنافس على شقراء هولندية ترتدى (البكينى) ... وكنت واثقا من الفوز لأن فرانكى ليس اكثر من كومة من العظام فى بنطلون وقميص ، فى حين ان وزنى الذى يبلغ ٢٣٠ رطلا هو شىء قياسى يضمن الفوز فى هذا المضمار ... نعم ان فرانكى وانا لم نكن نعرف اللغة الهولندية ، ولكن عندما أخذت الهولندية الشقراء تمشى بحذر فوق حصى الشاطىء متجهة الى مياه البحر الابيض المتوسط الزرقاء وهى تتحسس مواطىء قدميها ، وقد بدا جليا انها فى حاجة الى المساعدة — فقد وثبنا كلانا واقفين معا ... ولكن فرانكى الهيكل العظمى جرى فوق الصخور اللعينة بخفة القط ، واستطاع ان يصل اليها قبلى ... وكانت تلك الصخور بالنسبة لى كخناجر تخز قدمى ، وعندما اقتربت منهما تعثرت ووقعت ... فاستدارت الفتاة نحوى مع جميع الموجودين على الشاطىء وضحكوا منى، بينما طوق فرانكى خصرها بذراعه وساعدها على

النزول من المرتفع الصخرى المنحدر ثم الى احضـــان المياه ...

اننى لا احب ان اكون ضـــحكة للنـــاس ... ولو استطعت لضربت الشقراء الهولندية ... ولكننى تمالكت ونهضت قائما مثل ملاكم مهزوم ، ووصلت فى النهاية الى كشك ملابسنا ... ثم تركت الشاطىء لأشرب ما يلطف من هزيمتى ، وتنازلت عن الشـــقراء الهولندية لتكون غنيمة لفرانكى وحده ...

ولابد ان الساعة كانت تناهز الثانية صباحا حينما دخل فرانكى الى غرفتنا فى الفندق ، واضاء النـــور لكى يخلع ملابسه وهو يصفر برقة ... وعندما جلست فى الفراش قال لى فرانكى :

ـــ اين كنت ما مايك ؟ .. اننا بحثنا عنك فى كل مكان ... ان الهولندية كانت معها صديقة ، هى شقراء جميلة مثلها ، ووحيدة ... عار عليك هروبك! .. انهما مسافرتان فى الصباح ، فى عداد رحلتهما مع الفوج السياحى ! ..

هل رايتم حظى الاسود ؟ ..

ان وجودى فى فرنسا بدا ميئيا اول الأمر ، وربما لم يكن لى حق فى الشكوى والتذمر ... مادمت اعيش هنا عيشة طيبة ...

لقد بدات الحكاية منذ شهر ، عندما ذهبت الى حلبة سباق الخيل الأمريكية ... فقد راهنت يومها على اربعة أشواط ، وأفلست ... وعندما كنت أتسكع حول شـــباك الفائزين بعشرة دولارات مؤملا أن أصـــادف شخصا أعرفه لأطلب منه نجدة ، صادفت بعد قليل هذا الفتى البارز العظام الذى لاح لى كأننى رأيتـــه من قبل ـــ يقترب من ناحيتى ، يلاحقه شخص ضخم من

سماسرة السباق ، وكان يساومه على صفقة رفضها ... وعندما حاول الشخص الضخم اختطاف تذكرة كانت بيد الفتى نظر الى هذا قائلا :

ـ مايك ... النجدة يا مايك ! ..

وعندما اسرع الحراس الى ناحيتنا قال لى الفتى النحيل :

ـ لنهرب يا مايك ! ..

كانت الاشواط قد انتهت ، واستطعنا فى غمرة الزحام ان نخرج ... وعندئذ قال لى الفتى النحيل :

ـ اشكرك يا مايك ؟ .. الا تتذكرنى ؟ .. انا فرانكى دال ...

فقلت له وان كان الاسم لم يقرع جرسا فى ذاكرتى :

ـ بالتأكيد ...

ـ عندما كنت انت رئيسا لفرقة (جاز القطط) ، كنت أنا من اتباع الفرقة ....

تذكرته ... كان ، ذلك منذ احدى عشرة سنة ، عندما كنت فى السادسة عشر من عمرى وكانت فرقة (جاز القطط) اردأ فرقة فى البلدة ... وكان فرانكى صبيا هزيلا كنا نعده (كمراسلة) لتلبية طلبات الفرقة، ولم نكن نعيره اى اهتمام ...

قال لى فرانكى وقتها :

ـ ماذا تفعل هذه الايام يا مايك ؟ ..

ـ لا شىء كثيرا ... حارس فى بار فى عطلات نهاية الأسبوع ... هل معك تذكرة رابحة فى الشوط الاخير يا فرانكى ؟ ..

فابتسم قائلا :

ـ معى تذكرة مضاعفة الربح ، قيمتها الف دولار ... وهذا الصعلوك الضخم الذى تركناه خلفنا

كان يحاول ايهامى بأنه يستطيع أخذ قيمتها من الشباك دون دفع ضرائب بواسطة بطاقة أمن مزورة معه ... ولما طلبت منه ان يبتعد عنى حاول ...

ــ فرانكى ! .. هل معك تذكرة ربحت ألف دولار ؟..

ــ نعم ... اننى كنت محظوظا طيلة السنتين الأخيرتين ! اربح خمسمائة أو ستمائة دولار فى الاسبوع ... وفى الشهر الماضى فقط ربحت تذكرة مضاعفة بألفى دولار ..

واضاف فرانكى بعد برهة بهدوء :

ــ لنعد غدا الى ميدان السباق لقبض التذكرة الرابحة ...

وفى الصباح قال فرانكى فجأة ونحن فى سيارة الاجرة :

ــ ما هى المدة التى حكم بها عليك عن السيارة المسروقة ، منذ سنوات ! ..

ــ ستة شهور ... لماذا ؟ ...

ــ هل عاودت هذه العملية فيما بعد يا مايك ؟ ..

فهززت رأسى قائلا :

ــ لماذا تنبش هذا التاريخ الماضى يا فرانكى ؟ ...

ــ كنت افكر منذ مدة فى اخذ اجازة ... ان هذا الشخص الذى ضربته قد يكون فى انتظارى ... معى (خميرة) طيبة وكنت دائما اريد مشاهدة أوربا ، لكننى لا أحب السفر وحدى ... انتى بلا سوابق ، واذا كنت لم تحبس اكثر من ستة شهور فيمكنك الحصول على جواز سفر ... انتى اتكلم الفرنسية الفصحى ، فهيا بنا لمشاهدة باريس يا مايك ، وسوف اتكفل بالنفقات اللازمة ...

وبعد اسبوع كنا على متن طائرة ركاب فرنسية ..

ولم يكن فرانك شحيحا ... فقد اشترى لى بدلتين، وفى باريس نزلنا فى أحد الفنادق المتوسطة ، ودس فرانكى فى يدى مائتى دولار قائلا :

ــ مصروف جيبك يا مايك ... اذا احتجت لإكثر فما عليك الا ان تطلب ...

واقول لكم ان باريس كانت (مقلبا) ... فقد وصلنا اليها يوم الخميس تحت وابل من المطر والبرد ، وحل يوم الاحد والمطر لا ينقطع ، حتى قال لى فرانكى :

ــ اننا تفرجنا على النوادى الليلية وأوكار التجرد ، لكن هذا المطر اللعين لا يريد أن يتوقف ... لنتجه جنوبا الى شاطىء الكوت دازور ... يقال ان الشمس هناك لا تنقطع ...

وبعد خمس ساعات كنا نستمتع بالشمس على شاطىء مدينة نيس ، ونتفرج على الجميلات فى البكينى ... والحق ان نيس مدينة رائعة ... ولعلك تظن ايها القارىء ان حياة كهذه يمكن أن ترضينى ... لكننى لم اكن راضيا عن نفسى ... فقد كان فرانكى هو صاحب الخزانة ، وقد ضايقنى ان اكون عالة عليه ... وعندما كنت رئيسا لفرقة (جاز القطط) كان فرانكى يسعده ان يلمع حزامى ، أما الآن فقد شعرت اننى تابعه ... وانا قد اعتدت طول حياتى ان اقف على قدمى وحدى ... فأردت أن أثبت لفرانكى اننى استطيع تدبير أمورى مستقلا عنه ...

ومع ذلك لم اوفق الى أى مكسب .. لقد لعبنا (البولا) مرات دون أن يربح احدنا ، لكن فرانكى استطاب اللعبة ، وقال انه يدرس طريقة للتمكن من اسرارها ... وفى يوم الاثنين ذهبنا الى ميدان سباق فى مدينة مجاورة لنيس ، لكننى خسرت ما قيمته ستون

دولارا بالفرنكات ، فى حين ان فرانكى المحظوظ الذى ظل طول الوقت يلح على لكى اقتدى به ، ربح ثمانمائة فرنك ، وهو يساوى ١٦٠ دولارا ...

وعندما كنا فى باريس اشتريت ورقتى يا نصيب بثلاثة فرنكات للورقة ... وهم فى فرنسا يذيعون نتائج اليانصيب الرابحة كل يوم اربعاء ... وصباح الخميس رحت اتصفح جريدة فرنسية بينما كنا نتناول الشطائر والقهوة التى يسميها الفندق طعام الافطار ، فلم اجد رقمى ورقتى بين الارقام الرابحة وكدت امزقهما ، عندما قال لى فرانكى :

ـ دعنى ابحث لك عنهما ... ها هى ايها المغفل الكبير ... لقد ربحت مائة فرانك ! ..

ان مائة فرنك لا تساوى اكثر من عشرين دولاراً ، لكنها كانت بمثابة (نجدة) ، وكأن حظى بدأ يتغير أخيرا ... وقلت لفرانكى :

ـ كيف احصل على المبلغ ؟ .. هل لابد ان نعود الى باريس ؟ ..

فقال فرانكى وهو يحاول قراءة الاخبار :

ـ لا ... سأريك اين تحصل عليه هنا فى نيس ...

وبعد الافطار خرجنا من الفندق ، وتوقفت فى الطريق لدى مقهى جانبى لتناول افطارى المعتاد من اللحم المقدد والبيض ... ثم صحبنى فرانكى الى محل لبيع سجائر حيث تباع أوراق اليانصيب ايضا ... فقدمت له ورقتى وأخذت المائة فرنك ... ولكن فرحتى لم تلبث ان تبخرت عندما قدم فرانكى ورقة يانصيب خاصة به ... فقد ربح الف فرنك ! ..

قال لى فرانكى بعد انصرافنا والمبلغ فى يده :

ــ هل تحتاج الى مصروف جيب آخر يا مايك ! يسرنى أن ...

ــ لا ! ...

لم يكن باقيا معى اكثر من خمسين دولارا ، لكن لعنة الله على اذا طلبت منه نقودا أخرى .... وقد اشترينا أوراق يانصيب جديدة للاسبوع القادم ، ثم ذهبنا الى شاطىء البحر ، حيث (فاز) فرانكى المحظوظ بالشقراء الهولندية كما أسلفت ...

* * *

تمددت فى فراشى احدق فى الظلام وانصت الى فرانكى وهو يتنفس بانتظام فى السرير المجاور ...

كنت افكر فى الطريقة التى اتمكن بها من التظاهر باننى تائه فى الكازينو بحيث اصل الى خلف مكتب الصراف ... فى هذا المكتب تأخذ (الفيشات) بدل النقود التى تلعب بها فى غرفة البولا ، والنقود نظير (الفيشات) الرابحة ... وقد قدرت ان جملة خسائر اللاعبين التى تؤول للكازينو كل ليلة لا تقل عن ألفى دولار ، وكل هذا المبلغ يكون فى حوزة الصراف :

رحت اقلب الفكرة فى ذهنى والعرق يغمرنى ... اننى لم اقم بعملية فى مدى سنوات ، ولم يكن فى نيتى قطعا أن اصبح ضيفا على سجون فرنسا ... لكن الفوز بالفى دولار تصبح ملكا لى وحدى يجعلنى اشعر باننى عدت رجــــلا من جديد ، بــدلا من أن ابقى (النسناس المدلل) الذى يجره فرانكى ... وعلى الرغم من انه لم يقل لى شيئا ولم يعيرنى بغمز ، الا اننى كنت اعرف انه يتلذذ بعملية الاحسان هذه ، تعويضا له عن هزاله وهيكله العظمى ، وعن المذلة التى كان

يلقاها منذ سنوات بعيدة وهو مجرد تابع فى فرقتنا الموسيقية الفاشلة ... نعم ... يمكن بعدها ان الوح بالالفى دولار فى وجهه واقول له انتى ذهبت الى موناكو وربحت المبلغ فى كازينو مونت كارلو ... ومع ذلك ، كنت اعلم أن العملية مخاطرة ، خصوصا فى بلد اجنبى ...

وفى الصباح استيقظت شاعرا بصداع ... وكان اليوم مشمسا كالعادة ، وقد اقترح على فرانكى ان نذهب بالاتوبيس الى مدينة كان ، حيث يوجد بهـنـا شاطىء رملى ...

والواقـع اننى استمتعت بالشـاطىء الرملى واستعرضت مهارتى فى السباحة حين شعرت فى النهاية بالسعادة ، وقلت لنفسى ان عملية خطف ايراد غـرفة (البولا) التى فكرت فيها هى عملية خاطئة ...

وعندما كنا نرتدى ملابسنا فى كشك الاستحمام ابديت ملاحظة عن قذارة المكان ورفست بعض الجرائد القديمة تحت المقعد الخشبى المستطيل ... وعندئذ سمعت فرانكى الذى كان يربط حذاءه يقول :

ـــ ما هذا الشىء الاصفر يا مايك ؟ ..

ـــ مجرد علبة قذرة ....

فمد فرانكى يده الى تحت المقعد الخشبى واذا هى تطبق على محفظة تبين أن صاحبها من مدينة لنكولن بولاية نبراسكا ، وبها شيكات سـياحية بمبلغ ألف دولار ، وحوالى سبعمائة فرنك ، وخمس عشرة ورقة خضراء جـدا من عملة الولايات المتحـدة فئة عشرة دولارات ! ..

وناولنى فرانكى ورقتين من فئة العشرة دولارات وبعض الفرنكات قائلا :

ــ قلت لك ان تنتظــر ، ولكنــك رفضت ... ان الشيكات السياحية لا تنفعنا ، ولذلك سوف نلقى بهــا مع المحفظة فى احد صناديق البريد ...

كان هذا النحس الجديد هو الذى وضع حــدا لترددى ... وتأكدت الآن انه لابد لى من السطو على صراف الكازينو ، لمجــرد اثبــات وجودى واسترداد هيبتى ! ..

وعدنا الى نيس حيث تناولنا البفتيك الدسم وسلطة نيس فى احد المطاعم الصغيرة غير السياحية التى كان فرانكى خبيرا بها ... وقد اقترح على ان نذهب الى السينما حيث يتولى هو الترجمة لى ... لكن السينما الفرنسية كانت دائما تشوش مخى ، فاعتذرت ...

ذهبت وحدى الى الكازينــو واتجهت الى المشى المظلل بالستائر الذى يبلغ طوله نحو مائتى قدم ... وبعد ان فتحت الباب برفق ، اخذت انظر من فتحــة الستار القائم خلف الصراف ...

رأيت فوق رف تحت مكتبه اكواما من الفرنكات من فئات ١٠ و ٢٠ و ١٠٠ و ٥٠٠ فرنك ، مع صحاف مملوءة بالفيشات على جانب ...

ورحت أتصــفح غرفــة البولا ، فرأيت اللاعبين واقفين حول المــوائد جماعات ... وشــاهدت بارا صغيرا فى الناحية المقــابلة لمكتب الصراف ، ولــكن الساقى كان مشغولا بغسل الكؤوس ...

تصورت انني استطيع أن أمد يدى من خلف عنق الصراف وأكتم أنفاسه فيقع دون أى ضوضاء ، وتكون حركتى التالية هى اختطاف الفرنكات المصفوفة حيث ادسـها فى قميصى من تحت المعطف .. والمخــاطرة الوحيدة فى هذه العملية هى احتمال مجىء أحد اللاعبين

لأخذ (فيشات) ، أو مصادفتى فى الصالة الرئيسية لأحد القادمين للعب البولا ، اذ يمكنه أن يتذكر بسهولة هيكلى الضخم .

لكنها مسألة حظ .. ويمكننى أن أسير الهوينا وأشعل سيجارا اذا صادفت أحدا .. وفى اقل من ثلاث دقائق اكون فى الخارج محشوا بالفرنكات ! ..

لاشك انها سوف تكون مفاجأة مذهلة لفرانكى عندما ارمى (الخميرة) على سريرى واريه كيف كان حظى ساطعا فى كازينو مونت كارلو ، وهو لا يبعد عن نيس بأكثر من نصف ساعة بالأتوبيس .. والواقع أن الاغراء تملكنى لاتمام العملية فى التو واللحظة ، لولا اننى قررت ارجاءها الى الليلة التالية .. فاننى احب أن أستعرض كافة الملابسات ، ولا أتسرع فى القيام بأية عملية ! ..

وفى عصر اليوم التالى التقينا بفتاتين جامعيتين امريكيتين على الشاطىء .. وكنت أعرف اننا لن نخرج بشيء من هذا اللقاء ، ولكن فرانكى قال أن الحديث يحلو مع اثنين من مواطنينا ، واقترح أن ندعوهما لتناول العشاء ..

فقلت له :

ــ خذهما أنت الى العشاء .. أما أنا فسأذهب الى كازينو مونت كارلو لأعرف أسراره ..

ــ سوف تخسر قميصك فى هذا الكازينو يامايك .. اقتنع بالبولا احسن .. أسمع .. سنذهب غدا الى السباق ..

ــ أريد أنا أن اقول على الأقل اننى ذهبت الى كازينو مونت كارلو .. سأكون مجرد متفرج .. وربما قابلت الأميرة جريس كيلى ..

فقال فرانكى باكتئاب :

ــ ان مواطنى مونت كارلو غير مسموح لهم بدخول الكازينو .. فهم أعقل من المقامرة بأموالهم .. لابأس .. تمتع بوقتك كما تحب .. هل تحتاج الى نقود ؟ .

ــ لا ..

أكلت وحدى فى مطعم سياحى صغير ، وانتزعوا منى خمســة وعشرين فرنكا مقابل أكلة لا تساوى نصف الأكلة التى ينالها فرانكى نظير ثمانية فرنكات فى (أركانه) التى يعرفها جيدا .. ثم اشتريت قطعة صابون كبيرة وضعتها فى جورب ، وبطارية صغيرة .. وجلست بعد ذلك فى المنتــزه أراقب الأمواج ، وقدرت أنه بحلول منتصف الليل يكون صراف غرفة البولا قد جمع الحد الأقصى لحصيلة اللعب ..

وبعد منتصف الليل بخمس دقائق تناولت شرابا قويا ودخلت الى كازينو نيس .. بدا لى الدور الأرضى هادئا رغم أن موسيقى الجاز كانت صاخبة فى النادى الليلى بالدور العلوى ..

سرت فى المشى المظلل بالستائر دون أن يرانى أحد .. وعندما فتحت الباب القائم خلف آخر ستارة بدا الهدوء شديدا حتى ظننت أول الأمر أن غرفة البولا قد أغلقت .. ولكننى عندما نظرت من خلال الفتحة فى الستار رأيت الجمع المعتاد حول الموائد .. وكان ساقى البار المواجه للصراف يقرأ جريدة .. ولم يكن احد يتكلم كثيرا .. فأخذت نفسا عميقا ثم مددت يدى من خلال فتحة الستار وأطبقت أصــابعى على حلق الصراف وجذبته الى الخلف .. وفى نفس الوقت هوى كيس الصابون الصلب على رأسه بيدى الأخرى ..

ثم انزلته على الأرض برفق دون أن يفطن أحد لأى شيء .. غير عادى ..

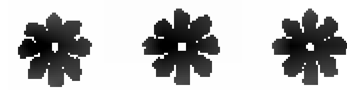
وعندما مددت يدى اليسرى من خلال فتحة الستار لأخذ النقود ، شعرت بصدمة بالغة .. فلم يكن فوق الرف سوى بضع أوراق مالية قليلة ! .. وفى غمرة الحيرة التى تملكتنى وجعلتنى لا أدرى كيف أتصرف ، اختطفت النقود القليلة وجريت عائدا ادراجى فى الممشى المظلل بالستائر .. ووصلت الى الردهة الرئيسية بعد أن دسست النقــود فى جيوبى مع البطاريــة وكيس الصابون .. وفوجدتها خالية .. فواصلت سيرى حتى خرجت واجتزت الشارع الى المتنزه الخالى ، وهناك رميت الصابون فى صندوق القمامة ، وأزلت البصمات المحتملة عن البطارية الصغيرة ووضعتها فى الجورب والقيت بها الى البحر .. ولما شعرت بالعرق يغمرنى غزيرا عرجت على مقهى فى الطريق وتناولت جعة ..

أحصيت الأوراق المالية فى جيبى .. كانت !! ورقة من فئة عشرة فرنكات ، و ٣ من فئة عشرين ، وواحدة من فئة خمسين — أى ٢٢٠ فرنكا ! ..

زاد عرقى غزارة .. لقد جازفت وعرضت نفسى للسجن فى بلد أجنبى فى مقابل ٤٤ دولارا لا أكثر ! .. وربما كانت بصمات أصابع يدى اليسرى باقية حول رقبة الصراف .. لكن كلا .. عندما يفيق سوف يعرق ، ويطمس كل بصمات محتملة .. ولم يشاهدنى أحد وأنا أمد يدى من خلال فتحة الستار أو انسحب ..

كان لابد لى من بضع اكواب أخرى من الجعة قبلما هدأت أعصابى ، وعند الساعة الواحدة صباحا قصدت الى غرفتنا فى الفندق .

كان فرانكى يقرأ مجلة فى السرير .. وقد سألنى :
ـ كيف كانت أحوالك فى كازينو مونت كارلو ؟ ..
ـ آه .. اننى لم ادخل بالمرة .. فقط قمت بجولة فى البلدة ثم رجعت بالأتوبيس الى نيس هل ذهبت مع الفتاتين الأمريكيتين ؟ ..
فلوح فرانكى بيده فى الهواء قائلا :
ـ لم أذهب معهما .. ولم يكن هذا فى نيتى ، مع انهما فتاتان لطيفتان ..
وازاح بيده الغطاء عن طرف السرير ، فكشف عن رزم ورزم من الفرنكات الفرنسية ، قائلا :
ـ لكن دراستى للبولا نجحت وأصابت الهدف ! .. كانت خدمة هائلة يا مايك .. لقد ذهبت الى الكازينو فى الساعة الحادية عشرة ، ولم أخطىء مرة واحدة فى حساباتى .. وعند منتصف الليل أفلست البنك تماما ، وانصرفت فى الحال .. لقد ربحت ١٧٦٣ر١ دولار بالفرنكات .. اننى لم أصادف فى حياتى مثل هذا الحظ السعيد .. أغرف لنفسك ما شئت من الفرنكات .. ما هذا ! . ما الذى أصابك ؟ .. يبدو عليك يا مايك كأنك ستفرغ معدتك .. أو يغمى عليك ! ..



رســائل الموت

كانت البداية كما تتذكر شيريل رويس لونا من العاب الصالون ــ لعبة خطرة الى حد ما ، تتصل بالمجهول المظلم .. لكن عنصر الخطر والمغامرة بارتياد المجهول هو ما جعل لها تلك الطرافة المحببة ..

كانت عن التنويم المغنطيسى ..

لقد قا ارنولد فوريس تلك الليلة :

ــ بالتاكيد .. بامكانى تنويم الأشخاص ..

لم يكن أحــد بين الحاضرين ، فيما عدا المضيفين من أسرة كاننجهام ، يعرف فوريس معرفة جيدة .. وكان من الطبيعى أن يتحداه بعضـــهم ، وأن يرجوه آخرون أن يقوم بتجربة ، وعندئذ عززت ليزكاننجهام مطلب هؤلاء اذ قالت بلهجة عذبة :

ــ ان ارنولد اعتــاد أن يمارس هــذه العملية فى النوادى الليلية .. هــلا قمت لهم بتجربة يا عزيزى ارنود ! ..

وهكذا بدأ أرنولد فوريس التجربة ..

كان شخصا قصيرا بدينا مورد الوجه عذب الحديث بادى المكر والدهاء .. وكانت لعينيه الزروقاوين قدرة غريبة على استهواء الانسان بنظرة نفاذة آمرة الى أبعد الحدود .. وربما كان اختياره لشيريل رويس بسبب ملاحتها أو لكونها بدت متشككة مكذبة .

وبعد أن ســلط فوريس عينيه الزرقاوين فى أعماق عينيها ، بدأت (تنام) فى مدى ثلاثين ثانية .. لكنها

لم تنم بمعنى الكلمة .. لقد اغمضت عينيهـــا ، لكنها كانت بعيـــدة عن حالة اللاوعى .. كان بامكانها أن تسمع بوضوح صوت فوريس وهو يقول لها :

ــ ان اجفانك ثقيلة جدا .. وذراعاك ثقيلتان .. وجسمك كله ثقيل جدا .. فى حالة استرخاء تام .. أنت تغوصين الى تحت .. الى تحت .. الى تحت .. فى نوم عميق جدا ..

ردت عليه شـــيريل فى نفسها : لا .. لن أنام .. لان بامكانى أن أسمعك .. وفضلا عن ذلك فانا أعرف اننى لست نائمة .. انا جالسة فى هذا المقعد المريح ، وكل الضيوف مجتمعون حولى ، و ..

ومع ذلك ، كان لابد لها من الاعتراف بأن الحالة التى كانت عليها حالة غريبة فعـــلا .. كانت تشعر بثقل فى جسمها فعلا ، ورغم ذلك كانت خفيفة .. ولم تكن تريد أن تغمض عينيها ، ومع ذلك فقد اغمضتهما .. ثم ارادت الآن أن تفتح عينيها ، فلم تستطع ..

كانت تحت رحمة المنوم تماما .. وقد أصدر اليها أوامره .. أمرها أن تقرأ كتابا ، وتكتب رسالة على الآلة الكاتبة ، وتشرب كوب ماء .. وقد اطاعته ، وراحت تؤدى الأفعال بالحركات الصامتة ، رغم تمام علمها بأن تلك الادوات غير موجودة ، ورغم امتعاضها من اداء هذه الحركات السخيفة ..

وقد مر فوريس بأصابعه فوق معصمها (يقيدها) الى مسندى المقعد ، فلم تعد تستطيع الحركة ، رغم علمها بعدم وجود حبال تقيدها فعلا ..

واستمرت اللعبة هكذا فترة طويلة ، وهى فى خلال ذلك كله تشـــعر ببلاهتها لقبولها ، هـــذه المخادعة ولظهورها بمظهر العجز على هذه الصورة ..

ومع ذلك فعندما ايقظها أرنولد فوريس أخيرا بطقطقة من أصابعه ، ضحكت شيريل وقالت مازحة انها لعبة لطيفة فعلا .. ووجد فوريس ضحية أخرى له ، فانتقلت شيريل الى الصفوف الخلفية مسرورة بانزوائها ..

ثم تبعها وينت مارون .. كان وينت شابا وسيما فى نحو الخامسة والثلاثين ، وله زوجة شقراء جميلة .. وكانت شيريل قد حضرت ثلاث أو أربع حفلات اجتماعية اشترك فيها وينت وزوجته ..

قال لها وينت :

ــ كيف كان شعورك وانت تحت تأثير التنويم المغنطيسى ؟ .

فأجابت شيريل :

ــ كانت تسلية لطيفة ..

فناقضها قائلا :

ــ لا .. لم تكن كذلك .. انك كنت كارهة لها .. كنت تقاومين ذلك الشخص فى كل دقيقة ..

حدقت فى وينتا مارون برهة وقالت :

ــ وكيف عرفت هذا ؟ ..

فابتسم عن أسنان بيضاء منتظمة قائلا :

ــ أنا أعرف شيئا عن التنويم المغنطيسى .. فمن الأشياء التى تحدث أحيانا هو أنه تحت تأثير التنويم المغنطيسى تزيد القوى التخاطرية حدة وشحذا .. وربما كنت انت وأنا على نفس الطول الموجى .. وعلى أى حال فقد كان بامكانى أن أنظر الى داخل عقلك طول الفترة التى كنت فيها نائمة أمامه .. كنت تقولين لفوريس باستمرار : « لا .. لن أفعل هذا .. ليس

فى يدى كوب ماء .. ليس معك حبل لكى تقيدنى به » .
وكنت فى حالة غضب طول تلك الفترة .
فقالت تجادله :
ــ انك رأيت هذا مرتسما على وجهى ..
فهز رأسه وابتسم قائلا :
ــ ان ملامح وجهك كانت بادية الصفاء لا يرتسم عليها شىء .. سلى أى أحد من الموجودين ..
وانتظر ردها ، فلما لم ترد أضاف قائلا :
ــ هذا شىء طريف .. الا تظنين هذا ؟ ..
ــ لا أعرف ..
ــ لا تقلقى خشـــية أن أتمكن من قراءة أفـــكارك باستمرار .. لن أفعل هذا .. لن تكون المسألة بهذه الكيفية ..
ومال نحوها وهو يقول هذا الكلام .. كانا اذ ذاك وحدهما ، اذ كان جميع الضيوف مهتمين فى مراقبة تجارب أرنولد فوريس فى التنويم المغنطيسى .. وقد استطرد قائلا :
ــ ان القوى التخاطرية ، أو تبادل نفس الخواطر بين شخصين فى وقت واحد ، تكون أكثر حدة وشحذا تحت التنويم المغنطيسى كما قلت لك .. لكن قد يمكن أن أقتنص عفويا فكرة تخطر ببالك فى وقت آخر ... وقد يمكنك بالمثل أن تقتنصى فكرة تخطر ببالى .. ان هذا قابل للحدوث فى كلتا الوجهتين .. اذ يبدو ، كما قلت لك ، اننا على نفس الطول الموجى ..
فقالت له :
ــ وما الذى أفكر فيه الآن ؟ ..
تردد برهة وهو ينظر فى عينيها مباشرة .. فقابلت تحديقه بجهد .. وقال لها فى النهاية :

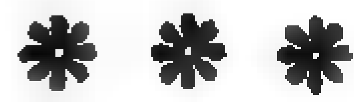
ــ انك غير مرتاحة لما أقوله لك .. انت تظنين أن خصوصـــياتك قـــد أنتهكت .. والعملية كلها تقلقك وتزعجك .. والآن قولى بالمثل : ما الذى تظنين اننى افكر فيه ! ..

ظلت تحدق فيه برغم ارادتها .. هل كانت تحاول أن تقرأ الفكرة الماثلة فى عينيه العسليتين القاتمتين ، وتنفذ الى صميم عقله ؟ .. وأخيرا وجدت نفسها تقول برغمها :

ــ أظن انك تريد أن تقبلنى ..

ضحك برقة ، وغمز بعينه قائلا :

ــ لا أعرف ما الذى تستخدمينه الآن يا حبيبتى .. لا اعرف أن كان هو التخاطر أم لا .. لكنك أصبحت قريبة .. على الأبواب ..



لم تقابل وينت مارون مرة أخرى عدة أشهر .. ولعلها كانت تحاول ، فى اللاوعى ، أن تتجنبه ... وفى خلال هذه الفترة ربما فكرتُ فيه مرة أو مرتين ، لكن من المؤكد انها لمَ تتلق منه أية رسائل تخاطرية ، وهو ما حمدت الله عليه .. كما أنها لم ترسل اليه أية رسائل مماثلة .. أو على الأقل لم يخطر لها أنها أرسلت مثل هذه الرسائل ..

ومهما يكن فانها صادفت مرة بأولا مارون ، زوجة وينت الشقراء الجميلة ، فى ركن معتم بمشرب معتم للكوكتيل .. وكانت تجالس رجلا آخر ، وقد التصق كتفيها بكتفه ، وأخذت تتصرف بطريقة لا تصدر من امرأة متزوجة مع رجل ليس هو زوجها ..

ان هذه الحادثة قد صدمت شيريل لأسباب .. منها الخيانة الظاهرة من جانب باولا لزوجها ، ومنها أن تكون الخيانة لرجل جذاب مثل وينت مارون .. أن وينت كان شخصا وسيما جذابا ، له مركز مرموق فى أعمال الدعاية والاعلان .. فما الذى يجعل باولا غير قانعة بمثل هذا الزوج ؟ ..

ثم كان بعد انقضاء نحو شهر على هذا الحادث أن بدأت شيريل تتوارد عليها تلك الاحساسات الهزيلة .. كانت أقرب الى مشاعر القلق والمخاوف والتوجس .. وكانت تنتابها فى أوقات غريبة ولغير أسباب ظاهرة ..

نعم لغير أسباب ظاهرة ، ذلك لأن كل شىء فى حياتها كان يسير سيرا يدعو الى الارتياح والطمأنينة . فهى قد التقت بالآن رتشموند ، وتأكدت أن آلان هو فتى أحلامها الذى طال انتظاره ..

كان شابا فارع العود نحيل القوام وسيم الصورة طموحا ، وكان متيما بها متفانيا فى مشاعره حيالها .. وكانا يخرجن معا فى أغلب الأوقات ، وكانت مع آلان عندما شاهدت باولا مرون فى مشرب الكوكتيل .. نعم كانت سعيدة فى حياتها ، وكانت الطوالع تنبىء بمزيد من السعادة القادمة ..

لكن كانت هناك تلك الأحاسيس الغريبة .. ذلك الاحساس بين آونة وأخرى بأن ثمة تهديدا يكمن عن كثب منها .. بل أكثر من هذا .. كانت تشعر باستجابة عاطفية لذلك التهديد .. بلون غامض من الغضب .. أو الكراهية .. أو الغيرة ..

الغيرة ! .. كانت تضحك لهذا الخاطر .. فلم يكن ثمة سبب للغيرة .. ان آلان قد فاتحها فى الزواج ، وبامكانها أن توافق فى أى وقت تريد ، وكانت تعلم أنه

لا يقابل فتيات غيرها .. فما الذى يدعوها الى الغيرة فيما يتعلق بآلان ! ..

لا يمكن أن يكون هذا .. لا يمكن أن تكون غيورة من هذه الناحيـــة .. واذن فما الذى يدعوهـــا الى الاحساس بـــ .. ؟ .

وفجأة جاءها الجواب ..

كان عملها شاقا مرهقا فى ذلك اليوم ، وقد اعتذرت لآلان عن عدم مرافقته الى السينما .. ولزمت الفراش .. وكانت مبتسـلمة للنوم فى غرفة نومها المظلمه عندما حدث ما حدث ، اذ استيقظت بهزة ..

رأت فى لحظة أليمة انها ليست فى غرفة نومها .. كانت فى ذلك الركن المعتم بمشرب الكوكتيل .. وكانت باولا مارون جالسة فى ذلك الركن مع الرجل الغريب ، ملتصقة بكتفها الى كتفه ، تداعب ذقنه بأصـــابعها ، وتهمس فى سمعه ، وشفتاها تكاد أن تلامسان أذنه .. ثم لم تلبث باولا أن أدارت رأســـها ، فبدت ملامحها ساهمة برهة ، ثم اتسعت عيناها ، وانفرجت شفتاها

ولم تلبث باولا أن تفوهت بكلمة واحدة بصوت مسموع وبنبرة تنم عن تمام الدهشة :

ـــ وينت ؟ ..

ثم تلاشت الرؤيـــا .. وبقيت شيريل فى ظلام غرفة نومها من جديد .. وانمحت صور مشرب الكوكتيل ، والرجل الغريب ، وباولا مارون ..

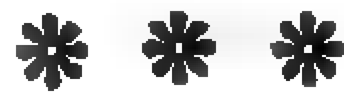
وانما بقى فى مخيلة شيريل رويس ـ نهذه الصورة ، غضب متفجر .. وكراهية مشتعلة .. وغيرة ملهبة !

ولم تتمالك أن تشبثت يداها بالغطاء شأن من هو فى احتضار الموت ، وتقلصت شـــفتاها ، وتسمرت عيناها فى الظلام ..

وانقضت دقيقة أو اثنتان قبلما انحسر عنها هذا الاحساس ، وتمددت مكانها هامدة الأطراف ، مستنزفة القوة ، يغمرها العرق ..

عرفت لتوها كنه هذه التجربة .. ان وينت مارون قد اكتشف وجود زوجته فى صحبة ذلك الرجل الآخر .. وشعر وينت بالغضب المدمر والغيرة الجنونية .. وقد لابست هى — شيريل رويس — كل هذه المشاعر لأنها كانت ماثلة معه فى مشرب الكوكتيل هذا .. وقد قرأت تفكيره .. ونفذت الى داخل عقله ..

كانت شيريل رويس ووينت مارون على نفس الطول الموجى ..



لم تخبر آلان ولا غيره بسرها .. وفكرت فى البحث عن أرنولد فوريس المنوم المغنطيسى لكى تطلب منه مساعدتها ... كانت تريد الخروج من نطاق الطول الموجى مع وينت مارون ... لم تكن تريد أن تشاركه أفكاره وأحاسيسه ... لكنها لم تسع الى لقاء فوريس ... فان المسألة كلها مضحكة ، مربكة ، لا يصدقها عقل ! ...

لم تشأ أن تصدق ما عرض لها ... أليس من الجائز جدا أنها كانت تحلم وهى فى فراشها ؟ ... أنهـا شاهدت باولا مارون فى مشرب الكوكتيل ذاك ، وهكذا تراءت لها فى الحلم ... وقد نقلها الحلم نقلة جعلتها فى مكان وينت مارون ...

لكن كان أيضا ثمة تفسير آخر لهذا ... هو قوة الايحاء ... فقد ألقى وينت مارون فى روعهـا أنهما على نفس الطول الموجى ...

هكذا لم يفاتح احدا بما كان ... وكم ندمت على ذلك ...

فبعد ثلاثة أسابيع ، فى يوم خميس ، وعند الغروب ـــ انتقل وعيها الى داخـــل عقل وينت مارون مرة أخرى ، وراحت تنظـــر من خلال عينيه ، وتشـــعر باحاسيسه ، واستقر عقلها على عمل معين ...

كانت وحدها مرة أخرى ، جالسة الى (التسريحة) ، تمشط شعرها فى المرآة ... وكان آلان على موعد معها بعد نصف ساعة ... كانت أفكارها مع آلان ، لا مع وينت مارون ، ولكنها لم تلبث أن شعرت بافكارها تنتزع انتزاعا بعيدا عن آلان ... واختفى وجهها من صفحة المرآة ... فلم تعد تنظر من خلال المرآة ، بل راحت تنظر من خلال الحاجب الزجاجي لسيارة ...

كان امامها طريق معتم ومظلل فى الغسق ... وغمرت الانوار الكاشفة أشـــجارا تقوم على جانب الطريق ... أما الطريق ذاته فكان مظلما ...

ثم ظهر شىء فى الطريق ... فى جانبه الايمن ... شىء أبيض ... بارق جدا فى الانوار الكاشفة ... شىء أبيض يرفرف ... فستان امرأة ...

كان ثمة امرأة واقفة على جانب الطريق ، كأنما تنتظر من يأخذها فى سيارة ، اذ كانت تحمل بيدها حقيبة ملابس صغيرة ... حقيبة زرقاء ، لامعة الزرقة بجانب بياض الفستان ..

لكنها لم تكن تنتظر قائد هذه السيارة ... كلا ... ذلك لأنها عندما عرفت السيارة ، ابدت اشارة تدل على الدهشـــة ، اذ رفعت يدها اليسرى ، منفرجة الاصابع على سعتها ... وقد نم وجهها عن الدهشة

أيضــا ... ثم اقتربت الســيارة أكثر بحيث أبصر السائق وجهها ...

وإذا وجه باولا مارون يبدو أبيض فى مثل بياض الفستان ... وعينــاها الزرقاوان تتسعان وتبــدو زرقتهما بلون الحقيبة الصغيرة ... والانفعال يتجلى فى العينين ... انفعال الخوف ...

انفعال لدى السائق أيضا ... حقد عميق ... وشعور متزايد بالانتصار ... ها هى باولا ، الزوجة المكروهة ، تضــبط متلبســة ... الى أين تذهبين يا باولا ؟ ... كنت أظن أننى اذا أخذت مفاتيح سيارتك ستضطرين الى ملازمة البيت ! ... لكنك تنتظرين الآن سائق سيارتك الخصوصى ! ... أليس كذلك ؟ ... والى أين أنت ذاهبة معه ؟ ... والى متى ؟ ... أراك حملت معك حقيبة الملابس الصغيرة ... ربما تكون الرحلة لليــلة كاملة ... وربما لا تكون لهذه الفترة ... بل ربما ستذهبين نهائيا ، وقررت ألا تكلفى نفسك مشقة أخذ كل تلك (الخرق) المعلقة فى دولاب ملابسك ... لا بأس ... لن تذهبى الى أى مكان يا طفلتى ! ... لن تذهبى (معه) أبدا ! ...

وأخذت السيارة تتقدم الآن بأقصى سرعة ... ويبدو أن باولا فهمت فجأة ... فحاولت أن تتراجع عن طريق السيارة ، الى ما بين الأشجار ، حيث تكون بمأمن ، اذ لا تستطيع السيارة أن تتبعها الى هناك ...

لكنها لم تسرع بالدرجة الكافية ... فألقت من يدها الحقيبة ، وحاولت أن تستدير وتجرى ، ولكن حذاءها ذا الكعب العالى تعثر فى الحصى القــائم على جانب الطريق ... وكان الفستان ضيقا يعوق حركتها ...

فالتفت مرة أخرى الى ناحية السـيارة ... ومدت ذراعيها متوسلة :

ـ لا تقتلنى يا وينت ! ...

ولكن السيارة مضت فى طريقها ودهمتها حتى غطى هدير المحرك على صرختهـا المدوية ... ثم تابعت طريقها حتى ذابت فى الظلام ... واختفت الصورة عن عينى شيريل ؛ ولم يبق أمامها سوى صورة وجهها هى فى المرآة ... وجه شيريل رويس ، المتقلص بقناع مخيف من الكراهية والحقد ...

لم تتمالك شيريل أن رفعت يديها الى وجهها تحجب عينيها المحدقتين وهى تغمغم مشدوهة :

ـ رباه ! ... ما الذى رأيته الآن ؟ ...

وبعد فترة مديدة انزلت شيريل رويس يديها عن وجهها ... فرأت الملائم المتقلصة قد زالت ، ولكن حبات العرق كانت تغمر جبينها ، وكانت يدها ترتجفان

ثم نهضت شـيريل متحاملة على نفسـها الى مكان التليفون وادارت رقم آلان وقالت له بصوت متهدج :

ـ لا أقوى على الخروج معك الليلة ... عندى صـداع شنيع ! ...

* * *

كانت جرائد الصباح خلوا من الخبر ... ولكن طبعات بعد الظهر أوردت القصة كاملة ...

لقيت باولا مارون ؛ البالغة من العمر ٢٨ عاما ؛ مصرعها تحت عجلات سـيارة هرب سائقها بعد الحادث .. وقع الحادث فى ساعة مبكرة من الليلة الماضية ، على مقربة من منزل مارون .. وقد قرر الطبيب أن السـيارة بعد أن دهمتها سـحبتها على

الطريق مسافة تقرب من ثلاثين قدما ، حيث قضت نحبها على الأثر .. .. ولم يوجد أى شهود للحادث ..

وأضافت الصحف أن أسرة مارون تقيم فى منزل خاص بها منطقة سكنية تكثر بها الأشجار وأن المنزل ذاته يبعد عن الطريق بضع مئات من الأقدام فى مساحة خمسة أفدنة تحيط به .. وقد قرر مستر وينت مارون الذى كان فى المنزل وقت الحادث انه لم يسمع أصواتا غير عادية ، ولم يستطع أن يفسر سبب خروج زوجته الى الطريق فى تلك الساعة الليلية .. وقالت الصحف ان البوليس أخذ فى سؤال الجيران فى المنطقة السكنية الراقية ، على أمل أن يكون بينهم من شاهد السيارة ، التى هربت عقب الحادث ..

لقد قرأت شيريل رويس هذه القصة فى هلع متزايد . انها شاهدت مصرع باولا مارون .. ان زوجها الذى استولت عليه الغيرة دهمها بسيارته ..

وكانت شيريل رويس (جالسة) الى جانب السائق !..

واذن فلابد لها من الذهاب الى البوليس بالطبع ..

ثم توقفت شيريل على مقربة من المكان الذى اشترت منه الجريدة .. ما الذى تقوله للبوليس ؟.. كل ذلك الكلام عن التخطار ، وتبادل الأفكار ، والموجات العقلية ؟.. هل يمكن أن يقبل البوليس شهادتها ، وقد كانت فى مسكنها الخاص وقت وقوع الجريمة ؟..

كان لابد لها أن تحاول ..

وفى مقر ادارة البوليس ادخلت أخيرا الى مكتب مخبر سرى باسم ايفات ، أصغى الى قصتها بملامح جامدة ...

وقال لها فى النهاية :

ــ لعلك ترين يا مس رويس انه لابد لنا من دليل اكثر مما قلته الآن ..

فقالت :

ــ نعم .. اعرف هذا .. لكننى فكرت أن ذلك قد يحدوكم الى البحث عن الدليل عند وينت مارون .. ان السيارة التى تصدم انسانا ؛ الا يكون فيها عادة حاجز اصطدام مثنى او نور امامى مكسور او اى شىء من هذا القبيل ؟ .

فاوما ايفات قائلا ، ولكن بغير اقتناع كامل :

ــ سأنقل هذا الاحتمال الى القائمين بالتحقيق .. لكن هناك نقطة اخرى .. ذكرت انك شاهدت فى احد المواقف التخيلية التى تراءت لك ، ومعذرة لهذا الوصف ــ او فى احدى المرات التى دخلت فيها الى عقل مارون ــ ذكرت انك شاهدت رجلا آخر مع مستر مارون .. من كان هذا الرجل ؟ ..

ــ لم يكن شخصا ممن أعرفهم .. والحقيقة اننى لم أنظر اليه .. فاننى كنت متجهة بنظرى طول الوقت الى مستر مارون ..

فقال المخبر السرى :

ــ هنا المساعدة لو عرفنا شيئا عن هذا الشخص . فقد يتوفر هنا دافع محتمل للقتل ..

فقالت تشيريل :

ــ نعم .. انى ادرك هذا .. لكن لا أظن انه كان رجلا ممن أعرفهم ..

ــ لا بأس .. سأبلغ كل ما قلته لى الى القائمين بتحقيق الحادث ..

ودون اسمها وعنوانها ورقم تليفونها ..

فشكرته واتجهت الى الباب .. لكنها قالت قبل أن تخرج :
مجرد تخيلات ..
ــ بالطبع قد اكون مخطئة .. وقد تكون المسألة
فأومأ ايفات قائلا :
ــ هذا ممكن فى الواقع ..
ــ انني لا أتهم وينت مارون بـــ ..
فقال ايفات وقد أدرك قصدها :
ــ اذا قام المحققون بسؤال مارون أو بأى تفتيش فانهم لن يذكروا اسمك ..

فانصرفت وهى تشعر بأنها صارت أحسن حالا .. لقــد فعلت ما أمكنها .. والمســألة الآن موكولة الى البوليس .. واذا كان وينت مارون قد ارتكب جريمة قتل ، فان مهمـــة البوليس هى تقــديمه للعدالة ، لا مهمتها هى ..

وتناولت العشاء مع آلان هذه الليلة .. وكان المطعم مكانا هادئا والموسيقى رقيقة والأضواء خافتة .. ولم تخبر آلان بما حدث .. وبدا انه لم يطلع على الحادث فى الصحف ، ولم يعرف أن باولا مارون ماتت مقتولة ..

وكانت تشعر بالقلق طيلة السهرة ، وكأنما كانت تحاول التفكير فى شيء ، أو تذكر شيء .. وظل هــذا الشعور مسيطرا عليها ، الى أن جاءت (الرسالة) فى النهاية ..

(ان شيريل أبلغتهم .. ان شيريل أبلغتهم) ..
لقد راحت هذه العبارة تطرق ذهنها مرارا وتكرارا .

وعندئذ علمت أن وينت مارون عرف .. اما ان تكون مشكوكة ثارت بسبب زيارة من جانب البوليس وأسئلة وجهت اليه ، واما أنه دخل الى عقلها وقرأ

ما فيه ، كما دخلت هى الى عقله وقرأت ما فيه ..
واستأذنت من الآن فى وقت مبكر ، وأمضت بقية الليل تتقلب فى الفراش عاجزة عن النوم .. وفى الصباح اتصلت بالمخبر السرى ايفات ، الذى قال لها :

ــ ان قصتك أثارت اهتمام الضابط المحقق .. وقد عاد الى بيت مارون .. وانتحل عذرا لدخول الجراج .. فوجد به سيارتين ، وليس بأيتهما علامات على حدوث عطب أمامى .. لكن السيارة التى يركبها مستر مارون عادة هى سيارة جيب ، ولها حاجزا اصطدام أمامى مقوى .. ومن رأى الضابط انه يمكن صدم أى شخص بهــذه السيارة دون أن تتخلف أية عــلامات بحاجز الاصطدام .. لكن الاحتمال ليس دليلا ..
فقالت :
ــ وماذا عن حقيبة الملابس الصغيرة الزرقاء ؟..
ــ لم يعثر على أى شىء من هذا ..
فراحت تجادله قائلة :
ــ ربما عمل وينت مارون على استرداد الحقيبة من مسرح الحادث .. قد تكون عليها آثار دماء .. وان كان باستطاعته ازالتها بالطبع .. أو حرق الحقيبة ..
فقاطعها ايفات قائلا :

ــ يا مس رويس .. اننى ذكرت هذه النقطة أيضا للضابط المحقق .. وهو يرى ان الدليل الذى قدمته لا يكفى بحال لاستصدار أمر بالتفتيش .. فانك لم تكونى شاهد عيان بالمعنى الدقيق ..
ــ اذن فلن تفعلوا أى شىء ..
ــ لا يوجد ما يمكن أن نفعله فى الوقت الحالى ..
ــ أنتم تظنون اننى مختلة العقل ؟..

ـ لم يقل احد هذا يا مس رويس .. لكننا تحرينا بالقدر الممكن ـ حتى الآن ..

* * *

وأخيرا اخبرت آلان بالقصة ، فلم يصدقها .. ولم يقبل أن يحاول التسلل الى جراج وينت مارون لفحص السيارة الجيب ، أو الى منزله ذاته للبحث عن حقيبة زرقاء ملوثة بالدم .. وقال انه لا يستبعد أن تكون شيريل قد تلقت اشارات تخاطرية أو موجات فكرية من مارون ، لكن اذا صح أن مارون قد قتل زوجته فان هذا شيء يعنى البوليس ـ وليس هو من شأنهما ..

فكان هذا الكلام مثار سخط شيريل ..

والواقع انه كان من الأسباب التى جعلتها تبتعد عن المدينة .. وثمة سبب آخر هو انها أصبحت خائفة مذعورة من وينت مارون ..

ولم يكون لديها تفسير منطقى لخوفها .. فانها قد بادرت الى الاتصال بالبوليس .. وعرف وينت انها فعلت هذا .. واذن فلن يجسر على القيام بعمل عنيف حيالها .. فما الذى يستطيعه اذن ؟.. قد يمكنه مضايقتها ، وتهديدها .. بل كانت واثقة انه سيفعل هذا .. وهكذا أرادت أن تهرب .. أن تبتعد .. أن تدع الوقت يمر .. وعندئذ قد تتوقف عن الدخول الى عقل وينت مارون وملابسة أفكاره .. ولعلها عندئذ قد تنسى ..

هكذا طلبت اذنا بالتغيب من رؤسائها ، وركبت سيارتها عصر ذلك اليوم .. ولم تكن لها وجهة معينة .. وانما أرادت أن تخرج من المدينة .. الى مكان مختلف ..

وتوقفت عند الغروب فى بلدة نورثواى الصغيرة التى هى أقرب الى قريته ، ونزلت فى موتيل نورثواى ..

كان الموتيل مبنى طوليا قامت غرفه جنبا لجنب ، وأمام كل وحدة ساحة لوقوف سيارة الضيف .. وعن كثب منه مطعم .. وفى هذا المطعم تناولت بعض الشطائر ، وعندما عادت الى غرفتها كان الظلام قد حل ، وتلألأت النجوم فى السماء .. وقبل أن تدخل تفقدت سيارتها واطمأنت الى اغلاقها ، ثم دخلت الى الغرفة ..

وبعد أن أخذت حماما دافئا تناولت قرصين منومين ثم استلقت فى الفراش بين الوسائد الوثيرة وحاولت القراءة .. لكنها كانت محاولة فاشلة ..

وتعاقبت الساعات .. وأخذت تتقلب فى الفراش متململة .. ان الكتاب لم يرقها ، فدفعته جانبا ، وأطفأت النور فى النهاية ، وأخذت تحدق فى الظلام ..

لم تستطع أن تنزع وينت مارون من ذهنها .. لكن لما كانت لا تريد أن تشاطر وينت مارون مزيدا من أسراره الآثمة ، فهل يمكنها أن تبعث اليه برسالة تقول فيها انه ليس له أن يخشى بعد الآن شيئا من جانبها ، وأنها كفت عن القيام بدور المواطن الصالح والارشاد عن قاتل ؟.. لكن هل يمكن أن يصدقها ؟... هل يمكن أن يثق بها ؟..

وفى ظلام هذه الغرفة الغريبة اعتدلت جالسة فجأة . انه لا يثق بها !.. كان وينت مارون يقول لها هذا ، الآن وفى هذه اللحظة !..

لقد تملكها الذعر .. اذ عرفت شيئا آخر أيضا .. وسواء كان ذلك بتأثير التخاطر هذه المرة ، أو كان نوعا من الغريزة الحيوانية التى يستشعر قرب الخطر، أو كان بسبب حركة يسيرة خيل اليها أنها سمعتها

ـ سواء كان السبب هذا أو ذاك ، فانها عرفت أن وينت مارون موجود عن كثب ..

نزلت من الفراش بهدوء .. وكان ثمة نافذة كبيرة فى الواجهة الأمامية لغرفتها قرب الباب ، يعلوها ستار كثيف .. فاقتربت من النافذة ، ونظرت من فرجة يسيرة بين الستار المزدوج ..

لم تبصر شيئا أول الأمر فى الخارج .. كان ممر السيارات مضاء اضاءة جيدة .. وكانت سيارتها قائمة فى مكانها ..

ثم لم تلبث أن سمعت حركة لم تخطئها هذه المرة .. خفق نعل حذاء قرب الباب .. ومر أمام النافذة هيكل قاتم ، وتوقف بجانب السيارة ..

رجل .. وينت مارون .. لا يمكن أن يكون غيره .. واذا كان الشك قد خامرها لحظة ، فما لبث أن تبدد عندما سار الرجل حول السيارة وسقط الضوء على رأسه وكتفه .. كان هو وينت مارون بقامته الفارعة ووجهه الوسيم ..

لقد تبعها .. بكل سهولة .. لأنها بعثت اليه بالرسالة الفكرية .. علم منها انها فى نورثرواى .. وفى الموتيل ..

والآن كان اهتمامه موجها للسيارة .. ليتأكد انها سيارتها ، ويستدل منها على الغرفة التى تنزل بها .. انه سيفعل شيئا للسيارة ، أو يحاول دخول الغرفة .. أو ربما ينتظرها حتى تخرج ..

تغلب الذعر فى نفسها على سلامة التفكير .. بامكانها الاتصال تليفونيا بموظف الموتيل ، لكى يتصل يتصل ، ببوليس نورثواى .. لكن البوليس لن يصدقها .. فهم لم يصدقوها من قبل .. وفضلا عن

ذلك فان البوليس هو عدوها .. ان اتصـــالها الأول بالبوليس جعل وينت مارون يخاف منها ، ثم يطاردها الآن .. وسلامتها الوحيدة هى فى اقناعه بأنها لن تذهب بعد الآن الى البوليس ..

لكن لابد لها ، فى لحظتها الحاضرة ، وهو لا يزال غاضبا ، من الهروب ..

كيف ؟..

(لا تفكرى !.. لا تدبرى !.. ان وينت يمكنه أن يقــرأ تفكيرك .. اذا فكرت فى مكان تذهبين اليه فسوف يسبقك اليه ليكون فى انتظارك .. فدعى عقلك نائما وتفكيرك مجمدا .. اعتمــدى على الغريزة .. تصرفى عفويا وارتجالا .. ولا تفزعى) !..

بهذا أنذرها عقلها .. فسارعت بارتداء ملابسها .. ووقفت فى وسط الغرفة المظلمة .. كان من الصعب بل من المستحيل أن تبقى عقلها جامدا عاطلا .. لكنها ذهبت تحاول ..

كان للغرفة نافذة خلفية أيضا .. فلم تتردد فى فتحها والنزول منها بأقصى ما استطاعت من حذر ..

ووقفت الآن على النجيل .. وقبل أن يدور بعقلها اى خاطر تحركت ومشت ..

سمعت ضوضاء حركة المرور على الطريق الرئيسى من الجانب الأمامى .. وعلى الرغم من أنها دخلت الفراش فترة ، الا أن الوقت لم يكن متأخرا .. الناس موجودون عن كثب .. ولا لزوم للخوف ..

ومرت بالجانب الخلفى لمطعم الموتيل ، فكان بداخله العاملة وزبون أو اثنان ، ولكن الدلائل كانت تشــير الى قرب اقفال المطعم .. فليس فيه ملجأ لها الآن .. وعلى أى حال فان وينت قد يتبعها اليه ..

وتابعت السير ، محاولة الا تستوعب شيئا من المعالم المحيطة بها ، والا تفكر فى المشاهد الحسية التى تتراءى لعينيها ..

وبدا لها هيكل شىء ضخم فى الطريق : مؤخرة سيارة نقل .. وشاهدت رجلا واقفا أمام السيارة يدخن .. ربما كان السائق .. وعندما سمع خطواتها تلفت الى ناحيتها وجعل ينتظر اقترابها ..

توقفت بقربه .. وقالت :

ــ أهذه سيارتك ؟..

فوجىء الرجل بهذا السؤال الذى لم يكن ينتظره .. وأخيرا أجاب :

ــ نعم ..

ــ هل أنت ذاهب الى أى مكان ، أم ستبقى هنا ؟..

فأجاب بعد تردد جديد :

ــ سأذهب ، حالما أنتهى من تدخين السيجارة ..

ــ هل يمكن ان أركب معك ؟..

توهج طرف السيجارة عندما امتص الرجل نفسا طويلا ..

ثم سألها .

ــ الى أين تريدين الذهاب ؟..

ــ لا يهم ..

ــ اسمعى .. أنا ذاهب الى ..

راح يحدق اليها ، متحيرا ، ولكن وجهها كان فى الظل مثل وجهه .. كانت أمامه مغامرة مثيرة .. فطوح بعقب السيجارة وقال لها أخيرا وهو يفتح لها باب السيارة .

ــ اصعدى ..

فصعدت وهي تجاهد لابعاد كل تفكير عن ذهنها .. وصعد السائق الى مقعده ، وأدار المحرك ، وأخذت السيارة تدرج .. وأغمضت شيريل عينيها لكي لا تبصر ولا تفكر .. لكنها أحست أن السيارة انحرفت يسارا الى الطريق العام .. فهل لاحظ وينت رحيل سيارة النقل ؟.. ربما لا .. من المؤكد أنه لا يستطيع قراءة كل فكرة تخطر لها .. ولا يمكن أن يعرف أنها في سيارة النقل ..

وقال لها السائق :

ــ لا أعرف ان كان يجوز أن أفعل هذا .. هل أنت من المشتغلين بالمخدرات أو مثلها ؟..

ــ لا .. لا علاقة لي بالمخدرات ..

ــ انت لست من النوع الآخر .. اذن لابد انك هاربة .. ممن ؟.. زوجك ؟..

ــ لا .. أنا آسفة .. لا يمكنني أن أشرح لك ..

ــ ربما كنتِ قائما بعمل مخالف للقانون ..

ــ لا .. انت لا تفعل هذا .. أنا أضمن لك ذلك ...

ومضت بهما السيارة في صمت فترة .. وحاولت شيريل ابقاء عينيها مغمضتين ، وعدم ملاحظة علامات الطريق .. وكانت تحس ان السائق ينظر اليها نظرة جانبية بين آن وآخر .. لكن مهما يكن تفكيره فيها ، فان خوفها من ناحيته أقل بكثير من خوفها من وينت مارون ..

وفجاة سألته :

ــ هل هناك سيارة تتبعنا ؟..

ندمت لفورها على هذا السؤال ، لأن السائق بدا عليه الانزعاج .. وأجاب بعد أن نظر في مرآته :

ــ لا يوجد أحد خلفنا الآن .. اسمعي .. من

الذى تنتظرين ان يتابعنا ؟ . .
ـ لا أحـد . .
ـ ربما تكونين هاربة من البوليس . .
ـ لست هاربة . .
ـ انى لا اريد ان اتورط فى اى شىء . .
ـ كل ما عليك أن تفعله هـو أن تأخـذنى الى مكان ما . . اى مكان . .
ـ انى ذاهب الى جاكسون هاربور . .
بدرت منها صرخة يسيرة ، ووضعت أصابعها فى اذنيها . . لكن بعد فوات الأوان . . فان اسم جهـة الوصول اخذ يدق فى ذهنها : جاكسون هاربور . . وأيقنت أن الاسم اخذ يتموج خلال الاثير ، مرتدا الى نورثواى مباشرة . . والى وينت . .
ـ ماذا جرى لك ؟ . .
فصرخت قائلة :
ـ دعنى أنزل ! . .
ـ اسمعى . . قلت اننى سأذهب بك الى . .
ـ دعنى أنزل ، والا قفزت ! . .
وتحفزت للقفز وباب السيارة نصف مفتوح . .
ـ انتظرى لحظة . . انتظرى لحظة . . دعينى أجد مكانا قرب الرصيف . .
وداس على الفرامل ، وأخذت السيارة تبطىء ، وهكذا انتظرت شيريل . . وما أن اختار السائق مكانا قرب الرصيف ، حتى فتحت شيريل الباب قبل أن يتوقف تماما ، وهبطت درجة السلم ، ووثبت الى الأرض قائلة : شكرا . .
وما ان وقفت على قدميها حتى تلفتت حولها لتعرف مكانها . . فلاحت لها علامة طريقواضحة فى ضوء

كشاف سيارة النقل المبتعدة بهذه الكلمات : تقاطع طريق ك ...

أيقنت أن وينت سوف يعرف مكانها بدقة .. وصرخت تنادى سائق السيارة لكي تعود اليها .. لكن صوتها ضاع فى هدير المحرك ، وابتعدت السيارة نهائيا ..

بقيت وحدها فى الظلام ، على جانب الطريق ... ان وينت قد سجل انها الآن عند تقاطع الطريق العمومى بطريق ك .. فماذا تفعل ؟..

ليس لها الآن بعد أن بات مكانها مرتسما فى ذهن وينت الا أن تسير على غير هدى ، والى غير وجهة معينة .. اذا كانت لن تعرف مكانها من الطريق ، فان وينت لن يعرف هذا أيضا .. قد تجد طريقا فرعيا تسير فيه .. أو قد تجرى عبر الحقول أو خلال الغابات ..

لكنها ترددت قبل أن تتوغل فى الظلام .. لم تكن لديها سوى فكرة غامضة عن جغرافية هذه المنطقة .. كانت تعرف مكان نورثواى على وجه التقريب .. لكن ما هو مدى اقترابها من جاكسون هاربور ؟.. ان جاكسون هاربور تقع على البحيرة بالطبع .. لكنها تتذكر وجود مسالك مائية قبلها .. وربما مستنقعات أيضا ..

فهل تفعل صوابا بهروبها بعيدا عن العمران ، والالتجاء الى منطقة قليلة السكان شبه مقفرة ؟.. ربما كان الأصوب لو أنها بقيت فى سيارة النقل،مع الناس..

لكن فات الأوان الآن ..

كانت الليلة صافية الاديم ، يتخللها القمر والنجوم . وكان بوسعها أن تبصر الطريق أمامها .. ان الغابة

ستكون مظلمة ، ولم تطاوعها شجاعتها على الابتعاد عن الطريق .. والأفضل أن تبحث عن طريق فرعى ليس به علامة ارشاد ..

لكنها لم تلبث أن كفت عن السير وهى تلهث ..

(أين ذهبت يا شيريل ؟..) ..

جاء السؤال مسموعا وأضحا .. لكنها كانت وحدها فى الطريق .. ومع ذلك لم يخامرها أدنى شك فى مصدر السؤال ..

كان وينت مارون واقفا قرب النافذة الخلفية لغرفتها فى أوتيل نورثواى .. الم يكن من الخطأ أن تترك تلك النافذة مفتوحة ؟.. ان وينت وقف قرب النافذة « وكانت هى معه » تنظر الى النافذة من خلال عينيه ..

ثم تسلق النافذة الى داخل الغرفة ، وصحبته فى دخوله .. وقد أخرج من جيبه بطارية سلط ضوءها فى أرجاء الغرفة ، حتى استقر عند الفراش الخالى ..

(اننا على اتصال يا شيريل ، أليس كذلك ؟..) ..

هكذا كان صوته يكلمها ، من داخل عقلها ..

(انت تعرفين اننى هنا .. وأنا أعرف أين أنت) ..

ترى هل يكذب ؟. لقد أغمضت عينيها وضغطت على أسنانها فى محاولة عقلية يائسة لكى لا تفكر فى الطريق المقفر الذى وقفت فيه ، والغابات عن جانبيه ..

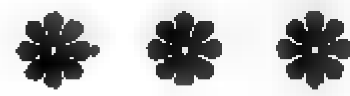
(لا تحاولى أن تختبئى منى يا شيريل) .

(انك ركبت أول سيارة صادفتك ، أليس كذلك ؟) .

(انك ذهبت الى البوليس .. لقد عرفت هـذا يا شيريل .. وأمكننى معرفة موتيل نورثواى أيضا) ..

(انها غلطتك يا شيريل .. لقد حشرت أنفك فى مسألة خصوصية .. ومضت فترة قبلما عرفت انك حشرت أنفك .. وأظن انه كان يجب أن أكون أكثر

حــذرا ، لأننى أنا الذى اكتشفت انه يمكننا تبــادل أفكارنا .. وأتذكر اننى قلت لك ان مسألة التخاطر هذه يمكن أن يحدث مفعولها من الطرفين .. لكن كان من سوء الحظ انها تطورت الى هذه النتيجة .. انت فتاة جميلة يا شيريل ، وكنت أود تقبيلك فعلا فى تلك الليلة التى تقابلنا فيها .. وبعد أن تخلصت من باولا ، وسارت الأمور سيرا طبيعيا ، كان الواجب أن أتجه اليك .. كانت غلطتك يا شيريل بعد الذى حدث لباولا .. ما كان يجب أن تذهبى الى البوليس .. وما كان يجب أن تقفى ضــدى .. نعم .. ما دمنا أنت وأنا بهذا القرب وهذا الاتصال الفكرى الوثيق .. الم يكن بوسعك أن تفهمى ؟.. الم يكن بوسعك أن تتعاطفى معى ؟.. الم تشعرى فى حياتك بالغيرة ؟.. اننى عندما رأيت باولا مع المدعو دون برونو ..) ..



عند هذا الحد صرخت شيريل .. دون برونو ـــ انه اسم غير عادى .. ان المخبر السرى ايفانت قال لهــا انها اذا استطاعت التعرف على شخصية الرجل الآخر فى القضية ، فسوف يكون فى وسع البوليس أن يواصل التحقيق عن بينة .. وها هى الآن قد عرفت اسم ذلك الرجل ، ويا ليتها لم تعرف .. فلا شك ان وينت مارون قد فطن الى زلة لسانه ، وعرف انه زودها بسلاح ضده .. ولا مفر له الآن من أن يسعى الى اسكاتها ...

بدأت تجرى من جديد فى الطريق المكسو بالحصى ـــ طريق ك .. هل تنثنى الى الغابات ؟.. لا .. ليس الآن .. ان وينت يمكنه أن يجرى خلال الغابات أسرع منها .. لم يبق لهــا الا أن تستمر فى هـــذا

الطريق ، باحثة عن أى شخص ، عن النجدة ، عن تليفون .. وعندما تعثر على التليفون يمكنها الاتصال بالمخبر السرى ايفات ، وتصرخ فى سمعه بهذه الكلمات: « ان اسم الرجل هو دون برونو !.. ابحثوا عنه !.. خذوا منه اعترافا بأنه كان سيقابل باولا وهى تحمل الحقيبة الزرقاء !.. دون برونو يمكنه أن يقول لكم ما فيه الكفاية لكى تقبضوا على وينت مارون بتهمة القتل !. » ..

واستمرت تجرى دون أن تشعر بوخزات الحصى فى نعلى حذائها الرقيقين .. ان أمامها فرصة للابتعاد، فان وينت مازال يفصل بينها وبينه أميال ، وسوف يستغرق وقتا فى العودة الى سيارته والرجوع الى الخريطة والبحث عن طريق ك ..

وفى خلال ذلك كانت تجاهد لشل كل تفكير أو خاطر يدور بذهنها حتى لا يقرأ وينت أفكارها ويتبين من خلالها معالم الطريق ، وكل همها أن تلمح ضوءا قريبا يكون بشيرا بوجود الناس والعمران ..

وظلت كذلك حتى بدا لها شيئان فى وقت واحد : صورة وصوت ..

صورة بصيص من الضوء لاح لها من خلال أغصان الأشجار ..

وصوت هدير محرك سيارة يدوى على البعد ..

لقد راحت تسابق هذا الصوت بكل ما أوتيت من قوة وارادة .. كان آتيا فى طريق ك ، وكان يزيد اقترابا مع الثوانى والدقائق .. وقد عرفته لأنها سمعته من قبل .. عرفته ليلة أن دهمت السيارة باولا وهربت .. ان وينت مارون يتبعها فى سيارته الجيب ، ذات حاجز الاصطدام المقوى الذى لا ينثنى

ولا ينثلم اذا اصطدم بجسم بشرى ..

وزاد الضوء اقترابا وانتشارا ومع قربه وانتشاره لمحت انعكاسه على صفحة ماء .. لعله قناة مائية او خليج صغير ..

بدا لها فى لحظة مروعة انها هالكة لا محالة ، ولن تصل أبدا الى الضفة الأخرى .. وعندما انحرف الضوء فجاة الى اليسار ، لمحت عند منعطف فى الطريق — قنطـرة ! ..

لم تكن قنطرة بالمعنى الدقيق .. كانت معبرا خشبيا عتيقا مهتزا .. لكنه قنطرة على أى حال ، يمكن أن توصل الى الضفة الأخرى ، والى الناس والعمران ..

ومن خلفها ، وعلى مسافة لا تزيد عن أمتـار ، ارتفع هدير محرك سيارة الجيب وصرير العجلات فوق الحصى ارتفاعا يصم الآذان ..

ولامست قدماها الطائرتان أولى لوحات القنطرة .. وفجاة غمر ضوء السيارة الكاشف كل شىء .. هى نفسها .. وارضية القنطرة .. والمياه القاتمة البارقة فيها أمام قدمها الممدودة ..

لم يكن بوسعها أن تتوقف .. فات أوان ذلك .. ووثبت قدمها المرفوعة فى الفضاء .. فلم تجد شيئا تحتها،الى أن ارتفعت صفحةالمياه القاتمة لكى تتلقاها..

وفى الحظة التى غاصت فيها فى المياه ، صدمت عجلات السيارة الواح القنطرة ، ووجدت السـيارة المنقلبة نفس الفـراغ امامهـا .. وعامت فوق رأس شيريل حتى حجبت عنها السماء ، فى اللحظة التى غاص فيها رأس شيرين تحت المياه .

وفى المياه شعرت بالموجات الضاغطة العنيفة التى تولدت نتيجة انفجار السيارة وهبوطها الى القاع ...

فارتفعت هى الى السطح ..

لم تجد شيئا حولها .. السماء مكشوفة .. والهدير قد توقف .. ولا شىء غير موجات كانت تنتشر من حيث اختفت سيارة الجيب ..

(وينت) !..

فاهت باسمة صامتة ، فى داخل عقلها .. لكن ما من جواب .. ولا اتصال .. ان الاتصال قد انقطع .. ان (الخط) قد سكن ومات على الناحية الأخرى ..

نعم .. لقد مات وينت .. او هو على وشك الموت .. لابد أن رأسه قد اصطدم بجزء معدنى .. مثل حاجب السيارة .. وهو الآن فاقد الوعى .. عاجز .. محشور فى المقعد .. يغرق ..

ضربت المياه بذراعيها شطر مصدر الموجات ، ونادت بأعلى صوتها :

ــ وينت !..

تملكها خدر .. برودة .. لقد أيقنت من حقيقة لا شك فيها .. ان وينت قد لقى حتفه ..

وهكذا عادت سابحة الى القنطرة ..

قنطرة ؟..

تطلعت الى الهيكل الخشبى فى ضوء القمر .. لم يكن قنطرة على الاطلاق .. كان (عائمة) فقط ..

سرت فى كيانها رعدة .. لا من برودة المياه .. لقد قتلته .. قتلت وينت .. لو أنه عرف الحقيقة ، لأمكنه وقف سيارة الجيب فى اللحظة الأخيرة ..

لكن عقلها بعث اليه بالرسالة الخاطئة ..

لم يقل عقلها انها (عائمة) .. بل قنطرة ..

* * *

القتل .. من باب لباب

كانت الساعة تناهز الحادية عشرة صباح الاثنين وقد عادت جودى لتوها من السوق الى مسكنها بشارع (سيبرس واى) حيث تقيم مع زوجها .. انها تزوجت توم رالستون منذ سبعة شهور فقط . بعد تسريحه من الخدمة العسكرية بألمانيا ..

لقد الح عليها توم أن تترك عملها كمضيفة فى مطعم فى الضواحى ، لكن كان ذلك غلطة .. فهى الآن حليفة الوحدة والملل ، وليس لديها ما تفعله سوى التنقل بين جدران المسكن : تقرأ وتتفرج على التليفزيون الى أن يعود توم آخر النهار فى موعد العشاء ..

كانت جودى فى الثالثة والعشرين ، شقراء الشعر ، حلوة التقاطيع لولا أنفها غير المنتظم واسنانها البارزة قليلا .. وعندما تزوجت توم كانت متناسقة القوام ، لكن تأثير الوحدة والفراغ زاد من وزنها ، حتى بدأت تميل الى الترهل ..

وما كادت جودى تفرغ من ترتيب الأصناف التى جاءت بها من السوق فى الثلاجة حتى رن جرس الباب .. وعندما نظرت من خلال العين السحرية فى الباب ، وجدت الزائر امرأة شابة بادية الأناقة فى فستانها الجرسيه الفاقع .. وكانت تحمل حقيبة تحت ذراعها وقد أسندتها بيد ، كساها قفاز أبيض .. وكانت ملامح المرأة وسيمة ، ووقفت مرفوعة الرأس ، عليها سيماء الارادة ..

فتحت جودى الباب ..

ــ صباح الخير يا عزيزتى ..

فاهت المرأة بهذه التحية بابتسامة أخاذة ، وان كانت لا تنبىء بشىء عن شخصيتها .. واضافت : بصوت قوى كله ثقة :

ــ اسمى شيلا نيوبرى .. وقد أحضرت لك هدية جميلة من (جلوبال الكتريك) . المحلات الكبرى التى تصنع أدق اجهزة الراديو الصغيرة ..

وتوقفت المرأة عند هذا الحد . وقد انفرجت شفتاها القرمزيتان انتظارا ، وركزت عينيها الواسعتين اللامعتين فى وجه ربة البيت ..

فقالت جودى :

ــ اسم (جلوبال الكتريك) معروف .. لكن ..

ــ انى لا أبيع لك شيئا يا عزيزتى .. اننى أقوم بالدعاية لراديو (سبيسواى) الجديد .. وأنا متأكدة أن زوجك سوف يهتم به ..

فقالت جودى :

ــ ربما .. لكنه الآن فى العمل .. لكن لا معنى لتضييع وقتك .. لأنه ليس عندنا نقود ننفقها الآن على وسائل الترف ..

ــ آه .. يا لغباوتى يا عزيزتى !.. اننى لم أوضح لك غرضى بما فيه الكفاية ؟.. لن تشترى شيئا .. ولن تدفعى سنتا واحدا .. اننا سنقدم لك (هدية) من أحد راديواتنا الصغيرة .. انها عملية للدعاية لا أكثر .. اننا نقدم هذه الأجهزة للناس الممتازين هنا وهناك ، وكل ما نطلبه فى المقابل هو عرض نوع (سبيسواى) الجديد على الأصدقاء واخبارهم أين يمكن أن يشتروا واحدا مثله ..

فقالت جودى وهي تتنهد ارتياحا :

ــ آه .. هــذا شيء آخر .. لكن هــل أنا من المتازين كما قلت ؟.. لماذا اخترتنى بالذات ؟..

فضحكت شيلا مبتهجة وقالت وهى تغطى وجهها بيدها المكسوة بالقفاز تكلفا للخجل :

ــ انك غلبتنى يا حبيبتى وجعلت وجهى يحمــر خجــلا !.. الحقيقة اننا نختار الناس عفــويا بطريقة او بأخرى .. لكنك اذا تملكت راديو (سبيسواى) ، اصبحت من المتازين .. مفهوم يا عزيزتى ؟..

فضحكت جودى بدماثة قائلة :

ــ نعم ... أظن ... هل يمكن أن أرى الراديو ؟.

ــ يا آله السماء ! ... هل وقفت طول هذه المدة بغير أن أفرجك على جوهرتنا الصغيرة ؟ ... (عاينيه ، وافتحيه ، وامتلكيه) ... هذا شعارنا يا حبيبتى ! ...

وأسرعت شيلا بفتح حقيبتها ودست يدها ثم أخرجت الراديو ورفعته بحركة مزهوة ...

كان للراديو وجه من العاج اللامع بين اطار معدنى انيق ... وكانت علامات الترقيم مموهة باللون الاخضر المذهب ، والى يمينها ساعة صــغيرة ، حتى قالت جودى :

ــ كم هو نفيس ! ...

فقالت شيلا مؤيدة :

ــ هذا هو الوصف الدقيق يا حبيبتى ... نفيس جدا ... وبه موجتان ، وساعة كهربائية لايقاظك على صوت الموسيقى ... ثم هو صغير الحجم يمكنك حمله فى حقيبة اليد الكبيرة ... وصوته جميل ... هل تحبين أن تسمعيه ! ...

ــ نعم ... أحب هذا بالتأكيد ...

ـــ بديع يا عزيزتى ... ارجو أن تدلينى على مكان (البريزة) ...

ـــ الا يعمل بالبطاريات أيضا ؟ ...

ـــ نعم ... لكنهم لا يقدمون البطاريات اذا قدم كهدية ... انا آسفة لهذا ...

تراجعت جودى عن المدخل ... فدخلت شيلا ونظرت حولها قائلة :

ـــ يا له من عش جميل ! ... انتما الاثنان فقط يا عزيزتى ؟ ... بلا أطفال ؟ ...

ـــ الحقيقة اننا لم نتزوج آلا منذ فترة قصيرة ...

ـــ آه ... مفهوم ...

ـــ سوف تجدين (البريزة) تحت هذا المكتب ...

اوصلت شيلا الراديو بالبريزة ووضعته على المكتب وفتحته ، ثم أدارت مفتاحه آلى محطات متعددة ... وفى خلال ذلك كانت تنظر الى جودى باستمرار وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة ، واكتسب محياها طابعا جديدا وكأنما تحول اهتمامها كله فجأة الى عملية أخرى تشغل بالها ...

لقد فطنت جودى الى نظرات المرأة الغريبة ، فقد شفت عن نية أكثر مكراً من موضوع الحديث ...

ومع أن جودى ظلت واقفة ، فان المرأة جلست بغير دعوة فى مقعد ، بينما كان برنامج راقص يتردد على موجات الراديو ...

ووضعت المرأة احدى ساقيها الطويلتين فوق الأخرى ، وكان يطوق عنقها (ايشارب) أزرق وابيض ملأ صدرها المحبوك ، وتدلى شعر فاحم السواد حول كتفيها ، فكان مباينا لبشرتها الغضة وتقاطيعها الرقيقة ...

وقالت بعد أن شبكت أصابعها المكسوة بالقفاز الابيض فوق ركبتيها ، بلهجة كانت الآن أقرب الى التطفل :

ــ ما اسمك يا حبيبتى ؟ . . .

جلست جودي مترددة على حافة المقعد المواجه . . . كانت تريد أن تتخلص من المرآة وتحتفظ بالراديو وتقوم بالعمليتين معا بحسن تصرف ولكن بسرعة . . . فقد آنست طابعا عدائيا فى هيئة شيلا نيوبري مقترنا بتهديد خفى ، الأمر الذى جعلها عصبية متخوفة . . .

ومهما يكن فانها أجابت بابتسامة فاترة :

ــ اسمى جودي رالستون . . .

فاومأت شيلا قائلة :

ــ جودى ؟ . . . هذا اسم سخيف لامرأة . . . اسم لا يقدم ولا يؤخر . . .

فقالت جودي محاولة اخفاء استيائها :

ــ احقا ؟ . . . من سوء الحظ اننا لا نسمى انفسنا عندما نولد ! . . .

فزمت شيلا شفتيها قائلة :

ــ ومنذ اليوم الذي ولدت فيه يا جودى ، هل فعلت مرة فى حياتك شيئا ماكرا ، شيئا مثيرا ! . . . ها . . . اراهن انك لم تفعلى هذا . . . لابد أنك كنت بنتا طيبة تفعل ماتطلبه ماما وبابا . . . وكنت تصدقين كل أكاذيبهم البلهاء عن الحياة ، وكيف يجب أن يحياها الانسان نقيا شريفا ــ بالرتابة والملل المعروفين عن الطبقة الوسطى . . . وبعد ذلك تزوجت شابا سمجا ينقصه الخيال والافق الواسع مثلك . . . وفى النهاية سوف تموتين دون أن تعرفى شيئا من أسرار الحياة والغازها . . . مسكينة يا جودى . . .

فاطبقت جودى شفتيها وقالت :

ــ اسمعى الآن ... يكفى هذا ! ... لا يهمنى أن اسمع رايك فى ...

ولكن شيلا مضت تقول باشـــارة آمرة من يدها للسكوت :

ــ ومن ناحية أخرى ربما اكون متسرعة اكثر من اللازم ... كانت أمى تقول دائما انه لا يجب أن يصدر الانسان احكاما قاطعة على الناس ... وكانت أمى دائما على حق ... نعم ... من الجائز أن يكون من خلف قناع ربة البيت الكئيبة جودى أخرى مختبئة ــ جـودى الخبيثـة ذات الاسرار والخفـايا ... وانا يا حبيبتى مستمعة مخلصة ... اننى أعشق كشف أسرار الرذيلة والحرمان ... حدثى شـيلا عن كل أسرارك الخفية ... اظهرى لها الفتاة الخبيثة المختبئة التى تتحفز للانطلاق والتحرر من جودى الساذجة ...

نهضت جودى وقالت وهى تسوى (الجونلة) بيدين مرتعشتين :

ــ أريد أن تخـــرجى ! ... حالا ! ... هــذه اللحظة ! ... اننى لا أفهم لعبتك ، لكن من الواضح انك مخبـولة ... يجب على الأقل أن يبعـدوك عن الشوارع وعن بيوت الناس المحترمين ! .. اخرجى ، ولا تعودى مرة ثانية ، والا وجدت من يحاسبك غيرى ... وخذى معك الراديو المزيل ... لا أريده هنا ! .

فوقفت شيلا بدورها قائلة :

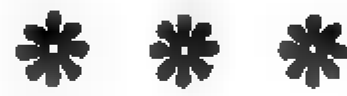
ــ يسرنى أنك لا تريدين الراديو يا عزيزتى ... لم يكن فى نيتى أن أتركه لك ... الحقيقة أنه كلفنى أكثر من ثلاثين دولارا ، بخلاف الضريبة ...

ودست يدها فى داخل الحقيبة التى كانت فى حجرها ، واضافت قائلة :

ــ لكن على اى حــال عندى لك هدية اخــرى يا حبيبتى . . .

ورفعت بيدها خنجرا جميل الشكل واسع النصل لامعه ، قائلة :

ــ انها هدية غالية . . . صنعت من أنقى الفولاذ . . . أليس خنجرا ثمينا ؟ . . . وعمليا ؟ . . . اننى لن اخيب ظنك هذه المرة يا عزيزتى . . . سوف تنالين هذا الخنجر بطوله . . . هدية وتذكارا ! . . .



وقف المخبر السرى الأول التابع لادارة الجنايات مع زميله فى الردهة يراقبان جثة جودى رالستون المغطاة بالملاءة وهى تنقل الى المصعد . . . ومن حولهما كان مندوبو الصحف والمصورون لا ينقطعون عن الحركة . . . وقد حشر بعضهم نفسه فى المصعد وهرول آخرون فى السلالم .

وقال المخبر السرى وهو يهز راسه برصانة :

ــ هل رأيت مثل هذه الجريمة من قبل يانات ! . . .

ــ ابدا . . . رأيت مرة امرأة صدمها قطار بضاعة . . . لكنها كانت أقل شناعة من هذه القتيلة . . .

فقال المخبر وهو ينفث دخان سيجارته :

ــ ربما كنت أجد دافعا لهذه الجريمة لو كانت القتيلة فريسة اغتصاب . . . لكن لا . . . ان الطبيب قال أن الفتاة المسكينة مزقت بوحشية . . . أنها قتل مضاعف . . . وربما كان نتيجة نزعة انتقامية . . . ماهو

شعورك اذا رجعت الى بيتك ووجدت مثل هذه المجزرة فى فراشك ؟ . . .

ـ كنت اتحطم أمام مثل هذا المشهد البشع . . .

فقال المخبر الأول :

ـ وهذا ما كان من توم رالستون . . . انه كاد يفقد وعيه . . .

ـ جودى رالستون . . . حمل وديع أمام قصاب . .

فزم المخبر الأول شفتيه قائلا :

ـ ربما لم تكن الحمل الوديع الذى وصفته . . .

ـ هل تظن أن لها حكاية جانبية ؟ . . . عشيق ؟ .

فهز المخبر الأول كتفيه قائلا :

ـ جائز . . . لأن القاتل لم يقتحم الشقة . . . وهل كان يمكن أن تدخل شخصا غريبا ؟ . . . اذن لابد لنا من بحث هذه النقطة . . . لكن هناك حقيقة مؤكدة . . . وهى أن القاتل مصاب بمرض نفسانى . . . فان طريقة تشويهه للجثة لا تصدر عن انسان عاقل . . . نعم . . . لابد أنه شخص مختل العقل . . . لكنه ذكى رغم ذلك . . . فانه لم يترك شيئا خلفه . . . لا مدية . . . ولا أية آثار . . .

ـ ما زالت أمامنا البصمات للبحث والمتابعة . . .

فرد المخبر الأول باستخفاف قائلا :

ـ الشواهد لا تبشر بخير من هذه الناحية .

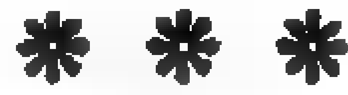
فقال نات :

ـ اذن فأمامنا أمل واحد . . . هو تلك السيارة الرياضية الحمراء التى رآها مشرف العمارة واقفة أمامها . . ان السيارة لم تكن مملوكة لأحد من السكان، ولا أحـــد ممن كانوا يزورونهم . . . وقد قال المشرف

أنها سيارة طراز (تريومف) لأن أخته تملك واحدة مثلها خضراء اللون . . .

فرد المخبر الأول ساخرا :

ـ بالتأكيد . . . لكنه لم يأخذ رقم السيارة . . وكم عدد السيارات المماثلة فى مدينة بهذه السعة ! . . . هذا اثر قليل الفائدة . . . ومع ذلك فاننا سوف نبحث فى أمر كل من يمتلك سيارة رياضية حمراء طراز (تريومف) . . . وسوف نصل الى سن المعاش قبل أن ننتهى من هذه العملية ! . . .



كانت الساعة تجاوز الحادية عشرة صباحا يوم الجمعة التالى عندما نهضت شيلا نيوبرى ، والمعروفة فى بعض الاوساط بالاسم الحقيقي وهو بوبى دى ماركو ، من الفراش الدافىء الوثير ـ وأخذ يتثاءب ويتمطى . . .

وضع بوبى روبا حريريا أنيقا فوق بيجامته . . . كان الروب مطرزا بنقوش دقيقة فوق أرضية حمراء ، وهو اللون المفضل عنده . . . أن اللون الاحمر جذاب حى . . . وهو يوحى بالمادة التى صنعت منها الحياة ذاتها . . .

أن الشىء الاحمر الوحيد الذى لابد أن يذهب هو سيارته الرياضية الحمراء طراز (تريومف) . . . كان بوبى يعرف أن شيلا شخصية عبقرية ، لكنها عرضة للخطأ ككل كائن حى ، وهذه السيارة الحمراء قد أصبحت مصدرا للخطر . . .

أن احدى الصحف التى نشرت نبأ الجريمة قد اشارت الى مسألة السيارة الرياضية الحمراء طراز (تريومف)،

وهي دلالة تلفت النظر ... واذن فلابد من التخلص من هذه السيارة في الوقت المناسب ... وفي خلال ذلك لا بأس أن يركب بوبي الاتوبيس ، أو القطار ، أو يسير على قدميه ... المهم هو أن تصل شيلا نيوبري (أي بوبي دي ماركو) الى مسرح الجريمة التالية ...

ووضع بوبي اصابع قدميه المصبوغتين بالبديكير في شبشب أحمر ، وسار الى الحائط الزجاجي وأزاح الستار ، فتدفقت في الغرفة أشعة الشمس حارة حتى لفحت وجه بوبي الوسيم ، ولكنه راح يسرح الطرف منتعشا في ارجاء المنطقة السكنية الجميلة ذات الحدائق والملاعب التي قامت فيها العمارة ...

وعندما اشتدت حرارة الشمس انثنى بوبي وانبطح على الارض لاداء التمرينات الرياضية اليومية التي يعتبرها حيوية لاكساب جسمه الطراوة والرشاقة اللازمتين ــ لشيلا نيوبري ...

وفي الحمام حلق بوبي الشعيرات الشقراء القصيرة النابتة في ذقنه بعناية تامة ، لكي لا تفضح البشرة المخملة ... ثم نظف الاسنان الصغيرة اللؤلؤية بنشاط وحمية ... ثم استحم ... ثم تعطر ... وبعد الحمام وضع فوق الروب مريلة مزركشة واعد الافطار المخصوص الخالي من المواد الدهنية والنشوية ، لئلا تترهل (شيلا) أو تميل الى البدانة ...

وبعد أن فرغ بوبي من هذا كله ، جلس في مقعد بغرفة الجلوس وأغمض عينيه واستسلم لأفكاره الخاصة ...

أخذت الصور البارقة تتعاقب في خياله ... فيها

ما هو عنيف ، ومنها ما هو عاطفى ... منها ما هو صارخ ، ومنها ما هو خافت ...

ومع هذه الصور جاء (الجوع) الذى لا يطاق ... نعرف أن الوقت قد حان لكى يتحرك مرة أخرى ... ان (الجوع) الذى ظل حبيسا سنوات طويلة ، أصبح الآن فوق كل احتمال ... ومن أجل هذا الجوع لابد أن يقدم (ضحية) جديدة ... انتقاما وعقابا ...

لم يلبث بوبى أن نهض الى خزانة ملابس شيلا ، وأخذ يتفحص الفساتين الغالية بعين خبيرة ... لا ... من أجل هذه المناسبة لابد أن يلبس بدلة ... البدلة المشغولة بالبيج ، ذات السترة الخضراء ، والقفاز المتمشى مع اللون ... يا للأناقة ... يا للروعة ! ...

وبعد أن وقف بوبى أمام المرآة ، أتم هيئة شيلا بباروكة سوداء فوق شعره الاشقر ، ثم انتقى مساحيق التجميل الغالية التى تشتهيها كل امرأة ، فوضعها بدقة عجيبة ، حتى أخفت معالم بوبى ، وخلقت من جديد شخصيته شيلا نيوبرى ...

وتناول من فوق الرف الحقيبة والراديو .. ومن درج مغلق الخنجر الثمين ناصع النصل ، بعد أن أزال عنه آثار الجريمة الماضية ...

وبوضع أدوات الاغراء والتشريح فى الحقيبة ، لبست (شيلا) سترتها وقفازها ، وخرجت تبحث من ضحية ثانية ...

* * *

سارت سوزان بروندى الشقراء الصغيرة فى شارع (جراند بوليفار) بخفة ونشاط بعد أن اتمت مشترياتها وانعطفت منه الى شـارع لوجان فى عصر ذلك اليوم الصحو ، دون أن يخطر ببالها أن أحدا يتبعها ، خصوصا اذا كان امرأة ... وهكذا فانها عندما دخلت الى منزلها لم تفطن الى شيلا التى كانت تراقبها من طرف خفى عند الناصية ...

وكانت سوزان جالسة تقرأ جريدة جاءت بها معها عندما دق جرس الباب ... فتركت الجريدة جانبا وقامت للرد على الطارق ...

بدت لها الزائرة امـرأة فى اخريات العشرينات ، تلبس بدلة (بيج) ابرزت قوامها البديع ، وسترة خضراء زادتها فتنة ، وقفازا مماثلا ، وشعرها الاسود المرسل يبرز تقاطيع محيـاها الفاتن ... ناهيك بالاهـداب الطويلة ، والعينين الغريبتين ، والفم المليء القرمزى الذى افتر عن بسمة فيها سخرية دفينة ! ...

وعندما لمحت سوزان الحقيبة الجلدية استعدت على الفور لعملية بيع ... وفعلا قالت المرأة بابتسامة كشفت عن الاسنان اللؤلؤية :

ــ مساء الخير يا عزيزتى .. اسمى شيلا نيوبرى وأنا من طرف محلات (جلوبال الكتريك) التى تبيع راديوهات (سبيسواى) الصـغيرة ، وهى أحـدث وأدق طراز فى العالم ... يالى من متعجلة ! ارى اننى خسرتك مقدما ... لكن لا تتسرعى ، لاننى لن أبيع لك اى شىء ... اننى اقدم عينات من هذا الراديو البديع بصفة هدية كجزء من حملتنا الاعلانية لتنشيط هـذا الانتاج الجديد ...

ومدت شيلا يدها الى داخل الحقيبة وأخرجت الراديو ورفعته بحركة درامية قائلة :

ـــ ها هو ! ... ما رأيك فيه ؟ ... أليس بديعا ؟
أومأت سوزان قائلة :

ـــ نعم ... لكن هناك شرطا فى العملية ... أنا متأكدة من هذا ...

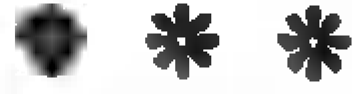
ـــ لا شروط بالمرة يا حبيبتى ! ... اننى سوف أدير الراديو أمامك وأريك الى أى حد يتفوق هذا الجهاز النادر على غيره ... واذا تأكدت من كل ذلك ، فما عليك الا عرضه على كل أصدقائك ، أوحثهم على شراء مثله ... هذه هى النقطة الاساسية فى الموضوع يا عزيزتى ... الدعاية لراديو (سبيسواى) العجيب .
فقالت سوزان :

ـــ كنت أعرف ان هناك تحفظا ما فى العملية ... لكنه ليس بالكثير ، واذا كنت متأكدة أنه لن يكلفنى شيئا آخر فيسرنى أن أشترك فى حملة الدعاية بين معارفى ... بل اننى سأذكر لهم اسمك ...

ـــ آه ... هل تتكرمين بهذا ؟ ... انه كرم منك ... أوصى اصدقاءك عندما يشترون الجهاز من المحلات أن يقولوا فقط : « أنا من طرف شيلا ينوبرى » ... مفهوم ! ... والآن ... لما كانت الهدية لا تقدم معها بطاريات ، فلا غنى عن تجــربته أمامك فى البريزة الكهربائية عندك ... هل تمانعين يا عزيزتى ؟ ...
ـــ لا ... أبدا ... تفضلى اذن يا مس ينوبرى ..

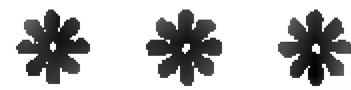
ودخلتا الى المسكن واختفتا فى الداخل ...
وبعد خمس وأربعين دقيقة خرجت شيلا من المسكن ،

وهي ما تزال على أناقتها ، فيما عدا بعض البقع التي لوثت القفاز الاخضر الذى أخفى الآن داخل الحقيبة ... ومضت بنشـاط فى شـارع لوجان ... وكان الشيطان حليفها عنـدما لحقت بالاتوبيس فى شـارع (جراند بوليفار) فى غضون دقائق ...



بعد أيام قلائل ، وعلى مسافة بعيدة عن مسرح الجريمة الثانية ، هبط (الاغراء) الجهنمى على (شيلا) مرة أخرى ، وكانت الضحية الثالثة التى نزل بهـا العقاب الوحشى وراحت قربانا لآله (الجوع) الغريب عند شيلا — فتاة فى الرابعة والعشرين تعمل ممرضة ليلية ، عثر عليها ممزقة تمزيقا فى شقتها ... ولم يشتبه فى أى أحد ... ولم توجد آية آثار ترشد الى الجانى — حتى ولا سيارة رياضية حمراء ...

كانت الممرضة تدعى لويز هيمنج ، وكانت تعيش بمفردها ... وكأنما أراد الجانى أن يزيد من حيرة الاعداد المتزايدة من رجال البوليس وعلماء الجـريمة والاخصائيين النفسانيين الذين كلفوا بتحقيق الجريمة — فان الضحية استهدفت أيضا للاغتصاب ...



فى الليلة التى قتلت فيها لويز هيمنج ، لم تكن (النمرة) الرئيسية التى يؤديها بوبى دى ماركو فى ملهى (شرشيه لافام) كل ليلة على نفس المستوى الممتاز هـذه الليلة ... لقد رآح بوبى يكثر من الشراب فيمـا بين العروض بحالة تدل على القلق ... فان الحمـلة الشعواء التى شنتها وسائل الاعلام طافحة بالغضب

والسخط بسبب الجريمة الوحشية الثالثة التى ذهبت ضحيتها المرضة الفتية البريئة ، قد نالت من أعصابه الفولاذية ، وحطمت سكينته . . .

كان ملهى (شرشيه لافام) قد اشتهر بعروضه التى يقلد فيها الممثلون الشخصيات النسائية ، وكان بوبى دى ماركو هو النجم الاول فى أداء هذه الادوار ، فى شخصية شيلا روز . . .

وكان بوبى محل أعجاب زملائه جميعا فى اتقان هذا الدور ، الى حد كان يعجز فيه أى انسان خارج الملهى عن تمييز الرجل خلف شخصية المراة عندما يتقمص بوبى دور شيلا . . .

وكانت العروض تنتهى فى الملهى الليلى فى الساعة الواحدة والنصف صباحا ، ثم تتقدم دورة أخيرة من المشروبات فى الساعة الثانية . . . وكان بوبى دى ماركو يبقى عادة فى الملهى حتى هذا الموعد ، لكنه فى هـــذه الليلة بالذات كان متلهفا للانصراف ، لكى يلوذ بحمى شقته الفاخرة ذات الديكورات الرائعة التى ترضى ذوق رجل مترف . . . فقد تصور فى غمرة مخاوفه أن صفا من المخبرين السريين كامن فى انتظاره بين جمهور الملهى، ولعل عيونهم النفاذة قد اماطت اللثام عن شخصيته الزائفة ، وعرفت سر تلك الجرائم الثلاث المروعة التى ارتكبتها شيلا ينوبرى ! . . .

وهكذا أسرع بوبى الى غرفته الخاصة بالملهى عقب انزال الستار ، وقد اســتقر عزمه على عدم تغيير ملابس الدور النســائى وارتداء البنطلون والسترة الرياضـــية بعد أن بلغت الحملة الصـــحفية ذروتها

واشارت الى المطاردة الحامية الوطيس ، التى تجرى على اتســاع المدينة كلهـا لتعقب الرجل الوحش الموصوف بقوته البدنية .

ولهذا اختطف بوبى معطفا نسائيا محفوفا بالفراء من دولاب ملابسه ، وارتداه فوق الفستان الحريرى ، ودس محفظة أوراقه الشـخصية فى حقيبة السهرة النسائية وأسرع الى باب الخروج الخلفى .. على أنه ما كاد يصل الى الباب دون أن يصادفه أحد حتى خرجت اليه (فتاة) من فريق الكورس الذى يتقمص الشخصيات النسائية ، من غرفة الرجال ، واعترضت طريقه صائحة :

ــ بوبى ! .. الى اين تذهب فى الشوارع بهذا الزى الجنـونى ؟ ... أنت تعرف أن لوائح المسرح لا تسمح بهذا .. واذا تعرض لك البوليس فسوف تكون العاقبة سيئة ! ..

فقال بوبى مزمجرا بصوته الرجالى الطبيعى :

ــ اخرس وعد الى اللعب مع عرائس التهريج ! .

وازاحه من طريقه ومرق الى الباب ..

لم تكن هناك سـيارة رياضـية حمراء من طراز (تريومف) فى انتظاره .. فانه تركها لدى احدى ورش الاصلاح فى البلدة المجاورة لاعادة طلائها بلون أزرق قاتم ، وفى نيته أن يذهب بها بعد ذلك الى موطنه الأصلى على بعد ثلثمائة ميل حيث يستبدلها بسيارة أخرى أكبر ، ثم يزور أمه فى نفس البلدة زيارة خاطفة يعود بعدها الى العمل ..

كم تمنى لو يستطيع أن يعترف لأمه ، اذ انها من دون الناس جميعـا قد تسـتطيع أن تفهـم عذابه

واضطرابه .. ان تمثيله لدور فتاة منذ مطلع شبابه قـد جعله امرأة فى طويته ، ومـع ذلك كان يحتقر النساء فى تلك الأوقات التى كن يغرينه فيها بالجاذبية الشريرة التى طالما حذرته أمه منها ..

وبسبب غواية واغراء أولئك النساء الشريرات ، كان لابد أن يعاقبهن .. فقد كانت أمه كثيرا ما تقول له : « عندما تنضج شجرة الغواية والاغراء عند المرأة الشريرة فلابد من قطعها واستئصالها » .. وكانت أمه دائما على صواب فى اعتقاده ..

ومهما يكن فقد أسرع بوبى فى سيره مخترقا بعض الشوارع الجانبية حتى وصـل الى موقف سـيارات الأجرة ، لـكنه كان خاليا .. وهكذا تركه الى موقف اتوبيس قريب ، ووقف ينتظر بصبر نافذ ، وهو يتلفت بين آونة وأخرى الى ناحية الملهى الليلى لكى يتأكد ان مخبرا سريا يقظا بين المتفرجين لم يخرج لمتابعته ..

فى دور شيلا كان بوبى يفـكر تفكير شيلا ، وفى شخصية شيلا وقف ينتظر الأوتوبيس ، عندما وقفت عند المنعطف سيارة صغيرة متهالكة وأطل منها شخص له وجه شاب وعينا عجوز :

ــ هل تقصدين نفس طريقى يا حلوة ؟ ..

فردت شيلا :

ــ لا .. لا أظن .. ما هو طريقك يا حبيبى ؟ ..

ــ طريقى هو نفس طريقك يا طفلتى ..

فقالت شيلا متفكهة رغم معاناة القلق وقتها :

ــ آسفة .. ان أمى أوصـتنى الا أركب أبدا مع غرباء .. وأنت تبدو غريبا جدا فى عينى ..

وسرعان ما انطلقت الرجل بسيارته مبتعدا ..

ولاحظت شيلا رجلين فى ملابس قاتمة يقتربان سيرا كانا قادمين من ناحية الملهى الليلى ، وعرفت أحدهما على الفور .. فان صاحب الملهى أشار اليه بأنه شرطى من قسم الآداب ، وكان يحضر الى الملهى أحيانا فجأة ، ويجلس الساعات لدى البار ، وأمامه كوب من الجعة .. أما الثانى فكان وجها جديدا ، ولكن لاشك أنه زميله ..

خطر لشيلا وقتها أن الشرطيين ربما كانا مكلفين بمهمة من قبل البوليس الجنائى ، وعندما توقفا لاشعال سيجارتين وتبادل بعض الكلمات كادت شيلا تفقد صوابها ..

وفى هذه اللحظة جاءت سيارة الاتوبيس ، وتوقفت فى المحطة .. وبعد أن ظلت شيلا برهة مترددة وقلبها يكاد ينخلع صعدت الى الاتوبيس .. وفى اللحظة الأخيرة صعد الشرطيان أيضا بخفة الرجال النظاميين المدربين ، واختارا مكانهما فى أقصى السيارة حيث جلسا جامدى النظرات صامتين ، لا يبدو فى الظاهر أنهما يقصدان شيئا معينا ، وان كانا فى وضع يراقبان منه كل شىء ..

وتهالكت شيلا فى مقعد أقرب الى باب النزول الأمامى ، وقامت بالحركات النسائية المعروفة من جذب المعطف الفراء حول جسمها من الامام ، وشد الجونلة فوق الجورب الحريرى الطويل ..

وعندما استأنف الاتوبيس سيره صوبت شيلا الى ناحية الشرطيين نظرة جانبية ، فرأتهما يتكلفان حديثا عابرا مقترنا بالابتسامات والضحكات ..

كان ذلك شيئا محيرا .. لماذا اختارا ركوب الاتوبيس واعلان وجودهما أمام شيلا العارفة بأمرهما ؟ .. ولماذا لم يركبا احـدى السيارات المدنية الخفيفة التابعـة للبوليس ، وعندئذ يكون بامكانهما الانقضـاض على شيلا وقتما يشاءان ، لدى نزولهما من الأتوبيس ؟ ..

قالت (شيلا) لنفسها : ما رأيك يا بوبى ؟ ..

كان من رأى بوبى انهما ربما فعلا هذا لأنه يلبس ملابس التمثيل النسائية ، فأرادا أن يراقبا سلوكه فى الأتوبيس قبل القبض عليه ! ..

ان ضبط أى ممثل بالملابس النسائية خارج المسرح ليس بالمخالفة الجسيمة .. مجرد دفع غرامة والتحذير من العودة لذلك .. ورغم هذا فان آخر شىء كانت تريده (شيلا) هو اجتذاب اهتمام البوليس .. فقد يميطون اللثام عن أسرار (شيلا ينوبرى) — هذا اذا لم يكونوا قد توصلوا الى ذلك فعلا ! ..

لابد لشيلا اذن من الهروب .. ان لم يكن نهائيا ، فعلى الأقل الى الفترة الكافية التى تقدر فيها درجة الخطر .. فقد لا تسنح بعد ذلك فرصة أخرى أبدا ..

وهكذا فعندما توقف الأتوبيس فى محطة تبعد مسافة قصيرة عن البيت ، اندفعت (شيلا) نازلة فى اللحظة التى تهيأ فيها السائق لاقفال الباب ..

وكان نزولها قـرب منتزه جلينفيو ، فدخلت اليه مسرعة ووقفت تراقب الأتوبيس ..

مدهش هذا الذى حدث ! .. اما ان الشرطيين قـد أخذتهما سـنة من النوم قبيل المحطـة ، وأما

انهما ركبا الاتوبيس لغرض آخر غير معروف .. وفى كلتا الحالتين لم ينزلا ، وابتعد الاتوبيس حتى اختفت أنواره الخلفية عن نظرها ، فهدأت مخاوفها ..

وانتظرت (شيلا) دقيقة أخرى وهى تتدبر الموقف ، بينما امتدت يدها الى الباروكة ، لتطمئن الى وجودها فى الوضع السليم ..

وفجأة لاح هيكل انسان سجلته بطرف عينها ، وعندما استدارت حولها بسرعة ، لمحت صاحب الوجه الشاب والعينين المجوزتين الذى طوق عنقها بذراعه فى حركة خاطفة ، قائلا :

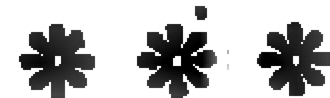
ــ قلت لك اننا ذاهبان فى نفس الطريق يا حبيبتى ! ياليتك وفرت أجرة الاتوبيس يا طفلتى ! ..

اختفت شخصية شيلا ، وأخذ بوبى دى ماركو يقاوم بعنف ضربا ورفسا بقوة رجل تملكه الغضب والخوف .. وحتى رغم قبضة الذراع التى أحكمت الخناق حول رقبته ، فان بوبى راح يضربه بقوة محاولا التخلص منه ، الى أن امتدت يد المهاجم الى جيبه وأخرجت ماسورة معدنية رفعها فوق رأس بوبى وهو يشدد الضغط بذراعه على رقبته .

وفى الثانية الأخيرة ، انبعثت صرخة مختنقة أطلقها رجل من فم امرأة ــ صرخة بوبى محاولا التبرؤ من شيلا ، وانكار الأنوثة .. انقاذا لحياته ..

لكن جمجمة بوبى هشمت تهشيما ..

ولقى بوبى دى ماركو مصرعه ..



سباق الموت

طلبت مس مالين المقيمة فى الغرفة رقم ٩١٢ بالفندق ان يؤتى لها بكأس من الجين وإناء مكعبات ثلج ، تحملها الى غرفتها خادم يدعى فريتز .. وقد لاحظ عند وصوله الى باب الغرفة أن الساعة كانت الحادية عشرة تماما ، وانها تركت له الباب مواربا ، ولكنه طرق وانتظر الاذن قبلما دخل ..

كان واضحا أن مس مالين كانت تسكر .. لا لأنها كانت مشوشة الثياب أو صاخبة أو مشاكسة على نحو ما تفعل بعض النساء عندما يأخذن فى السكر .. بالعكس .. كانت مرتدية فستانا أنيقا أسود بالغ القصر طبقا للمودة السارية ، وقد طوق عنقها عقد لؤلؤى مفرد رشيق ، وحلى اذنيها قرط مذهب لؤلؤى أيضا .. وكان شعرها البنى القصير ممشطا ولامعا ، وبدت فى هيأتها تلك الشفافية العطرة التى تفوح من النساء الانيقات بعد حمام دافىء وتواليت متقن .. والواقع أن مس مالين كانت أقرب الى عروس مصنوعة نفيسة .. ومن يرها كذلك يعتقد أنها أخذت زينتها لمناسبة خاصة .. أما انها كانت تسكر فلم يبد ذلك الا لعين فريتز المدربة وأذنه الخبيرة ..

قالت له مس مالين :

ـ ضع الكأس والثلج على المنضدة المجاورة للفراش ..

وكان الضوء الوحيد فى الغرفة ينبعث من مصباح صغير قائم فوق نفس المنضدة .. وكانت مس مالين واقفة خارج دائرة الضوء لدى الباب الزجاجى الكبير الذى ينفتح على الشرفة .. ولم تلبث أن انثنت الى داخل الغرفة وجلست على حافة مقعد مضمومة الساقين والركبتين وشبكت يديها فى حجرها وجعلت تحدق منهما .

أما فريتز فقد تمهل برهة يترقب الهبة قائلا :

ــ أهذا كل ما تطلبين يا مس مالين ؟ ..

فأدارت رأسها نحوه ، فلاحظ فى ضوء المصباح الاعياء البادى فى وجهها والظلال التى تملأ عينيها .. ولعلها لم تسمع سؤاله ، أو أنها تجاهلت السؤال لأسباب لديها .. وعلى أى حال فانها بدلا من أن ترد على سؤاله بادرته بسؤال من عندها قائلة :

ــ ما اسمك ؟ ..

ــ اسمى فريتز يا مس مالين ..

فاومأت براسها فى رصانة قائلة :

ــ فريتز .. اسم لطيف .. كان عندى كلب اسمه فريتز ! عندما كنت طفلة .. كان صغيرا من نوع الفوكس ترير .. ولكن دهمته سيارة ومات ..

ــ شىء يؤسف له يا مس مالين .. الكلاب الصغيرة التى من هذا النوع لطيفة فعلا ..

ــ أننى بكيت عندما وقع هذا الحادث ، لكن البكاء لم يفد بشىء طبعا .. لا فائدة من البكاء على أى شىء .. الحياة علمتنى هذا .. كانت الحوادث تقع دائما للاشياء التى أحبها والناس الذين أحبهم .. كانوا يموتون أو يبتعدون أو يفقدون ! ولم يكن للبكاء عليهم أية فائدة

.. هل شعرت فى حياتك مرة بالوحدة يا فريتز ؟ ..

ــ مؤكد .. أظن أن كل انسان يشــعر بالوحدة احيانا ..

ــ أنت مخطىء يا فريتز .. ليس ذلك احيانا .. دائما .. الانسان دائما وحيد .. أنت أو أنا أو أى شخص ، كلنا نشعر بالوحدة فى هذا العالم ..

ــ هل هذه حقيقة يا مس مالين ؟ ..

ــ نعم .. نعم ، هى حقيقة .. انني فكرت وفكرت فى هذا ، وفى النهاية تجلت لى هذه الحقيقة بنوع من الالهام أو البصيرة أو ما أشبه .. ان الوحدة هى الحقيقة التى لا حقيقة غيرها .. وكل شيء غيرها وهم .. الأحباب ، والأصــحاب ، والكلاب التى تســمى فريتز ــ كلهم وهم فى وهم ..

ــ وماذا عنى أنا يا مس مالين ؟ .. هل انا وهم أيضــا ؟ ..

ــ أنت حقيقى فى عالمك ، وأنا حقيقة فى عالمى .. والمشكلة هى أنه لا يمكننا ان نقترب أحدنا من الآخر .. لا يمكن لأحدنا أن يصل الى الآخر .. هأنت ذا ، وهأنا ذى ، وليس بيننا حاجز .. ومع ذلك لا سبيل الى وصول كل منا للآخر ..

ــ ليكن يا مس مالين ، ما دمت تقولين هذا ..

ــ أشكرك يا فريتز .. يسرنى انك توافقنى على رأيى .. المسألة هى رؤية الحقيقة .. هى ادراك الواقع .. بعض الناس يوفقون الى الادراك ، كلمحة خاطفة فى بعض لحظات العمر ، فيشعرون بالوحدة التى وصــفتها لك هل فهمت قصــدى يا فريتز ؟ .. عندما يواجههم الحزن أو خيبة الأمل أو اليأس لشيء

ما ، تتجلى لهم تلك اللمحات الخاطفة ! أو لحظات الصدق ، وعندئذ يشعرون بالوحدة ، الوحدة الشاملة المطبقة رغم وجودهم فى هذا العالم .. كلهم يعيشون عادة فى أوهام من الراحة والصحبة والمحبة ، التى هى كلها فى حقيقتها غير كائنة .. نعم يا فريتز .. ان الراحة والصحبة والمحبة كلها أكاذيب ضخمة لا وجود لهـــا ! ..

ـ لا يهمك يا مس مالين .. ســوف تشعرين فى الصباح انك بخير ..

ـ هل تظن هذا ؟ هذا ظرف منك يا فريتز .. أنه لظرف وكرم منك ان تحاول التخفيف عنى .. لكنها اكذوبة .. ولا شىء غير أكذوبة .. والأكاذيب فى النهاية هى اقسى شىء ..

ـ لا يمكن ان أكذب عليك يا مس مالين ..

ـ ليس عن عمد .. ولا بقصد العشرة أنت شاب طيب القلب يا فريتز ، ولا يمكن أن تكون قاسيا عن قصد . هذا شىء أراه بوضوح .. ليس الذنب ذنبك انك لا تدرك الحقيقة والواقع .. ليس الذنب ذنبك اذا كنت تكذب ، على سبيل الشفقة والطيبة .. هل تعرف أين أنا فى هذه اللحظة يا فريتز ! .. يمكنك أن تقول لى هذا ؟ ..

ـ أنت موجودة هناك .. موجودة أمامى حيث يمكن أن أراك وأسمعك والمســك اذا أنا أردت .. أنت هناك ، مثلما أنا هنا ..

هل رأيت ! .. لم نصل الى الادراك الذى ذكرته لك .. ببساطة انت لا تفهم أن كل شىء وهم فى وهم .. لا بد أن تفهم اننى لست هنا حقيقة وواقعا ..

انا شيء تلفه الوحدة فى عالم خاص بى . خلق لحظة مولدى ، وسوف ينتهى لحظة مماتى .. ولا قدرة لى على الهروب من عالمى هذا ، ولا قدرة لك أنت على الدخول اليه .. انا وحيدة فى عالمى الخاص بى ..

بدأ فريتز يشعر بالقلق .. بدأ يشعر فى الواقع انه جاراها فى أمور ليست له .. فأراد أن يتراجع قائلا :

ــ هل تعرفين ما انت بحاجة اليه يا مس مالين ؟ .. انت فى حاجة الى شراب آخر .. هل تحبين أن افتح زجاجتك واملأ لك كأسا ؟ ..

ــ لا .. اشكرك يا فريتز .. لا اشعر أن الشراب اصبح يهمنى .. اذا شربت كأسا أخرى ، فمن المؤكد اننى سأشرب غيرها وغيرها ، ثم أذهب للنوم واستيقظ مرة أخرى فى الصباح .. اننى سئمت أن أنام ليلا واستيقظ صباحا .. انما أفكر فيه هو أن أنام ولا استيقظ فى الصباح .. ويبدو لى بعد طول التفكير والتمعن أن هذا هو الذى يريح الانسان أكثر ..

ــ لا شك انك لا تقصدين هذا يا مس مالين .. لا يجب أن تتكلمى بهذه الطريقة ..

ــ ألم تشعر مرة بالرغبة فى الموت يا فريتز ؟ ..

ــ لست أنا ..

ــ ألم تفكر أبدا فى الموت ؟ ..

ــ لم أفكر جديا .. وحتى لو فكرت ، فان الفكرة ذاتها لا تسرنى ..

ــ أما أنا فقد فكرت فى الموت يا فريتز .. اننى أصبحت مدمنة تفكير فى الموت .. هل تعرف أن اماتة الانسان نفسه مسألة معقدة جدا ؟ ..

فهناك تفاصيل كثيرة لابد من التفكير فيها .. وهناك

طرق كثيرة للموت .. من المتعذر أن تصدق أن البت في هذا بالقرار النهائي شيء بالغ الصعوبة ..

ورفعت نظرها الى فريتز من حيث كانت تحدق في يديها ، ثم ادارت راسها ببطء وراحت تحدق في الباب الزجاجي الكبير للشرفة الخارجية .. واردفت تقول :

ـ انني كنت واقفة هناك أفكر في هذه المسألة عندما جئت ..

وعادت بنظرها الى فريتز فرأته قد أخذ يتراجع الى الباب المؤدي الى الردهة .. فقالت له :

ـ الى اين تذهب ؟ ..

فأجاب بقوله

ـ الليلة عندنا عمل كثير .. ويحسن ان اعود الى عملي ..

ـ لعلك لا تحب أن تقبلني قبل أن تذهب ؟ ..

ـ لا يمكن ان افعل هذا يا مس مالين ، والا جلبت على نفسي كثيرا من المتاعب ..

ـ انت على حق .. لا يهم .. لن يكون هذا الا وهما على اى حال ..

وفي هذه اللحظة وصل فريتز الى الباب .. فتوقف برهة ، وأدار راسه الى ناحيتها ويده على المقبض ، قائلا :

ـ استمعي الى نصيحتي يا مس مالين .. خذي كأسا أو كأسين واذهبي للنوم .. سوف تشعرين بتحسن في الصباح ..

ـ هل ستنزل الى الطابق الأرضي ؟ ..

ـ نعم ..

فقالت له :

ــ سوف أسبقك ..

خرج فريتز .. وأغلق باب الغرفة .. وسار فى الردهة متجها الى المصعد ..

لقد تراءى له أن يجرى .. لكنه لم يفعل .. فقد شعر فى قرارة نفسه بأنه مهما أسرع فى نزوله ، فانها سوف تكون أسبق منه حتما فى الوصول الى الطابق الأرضى .. لأنها ستهبط من الشرفة ! ..

جريمة عش الغرام

سمع جو تشانفيسكى طرقا على باب مسكنه . فأضاء النور .. كانت الساعة الثانية صباحا طبقا للمنبه المجاور لسريره ، قبل ساعة كاملة من موعد انطلاق جرس المنبه الذى حدده ، لكى يستقيظ ويخرج لصيد السمك ..

واستمر الطرق ، حتى استغرب من ذا الذى يطلبه فى مثل هذه الساعة .. على أنه صاح قائلا : — حالا .. حالا ..

ونزل من الفراش بخفة رغم ضخامة قوامه الذى يشبه قوام الدب ، وأضاء نور السقف ، واتجه الى الباب الخارجى ..

وبعد ان أضاء نور المدخل ، ارسل نظره من خلال زجاج الباب ، فراى أمامه فرانك ويفرلى مقاول المبانى المعروف فى (فورت ساندرز) ، وكانت هيأته تدل على الخوف والجزع ..

فتح جو الباب قائلا :

— ادخل يا فرانك .. ماذا جرى بحق جهنم ! ..

فاندفع ويفرلى الى الداخل مسرعا ، كأنما كانت الشياطين فى أثره .. فقال جو مرة ثانية :

— ماذا جرى يا فرانك ! ..

— انا فى ورطة يا جو ..

— اية ورطة هى ! ..

— جريمة قتل ..

كان ويفرلى يرتعـد بعنف وهو زائغ العينين .. وبدأ وجهه الأسمر بلفح الشمس ممتقعا .. فقال جو :

ـ اجلس ..

وعندما تهالك ويفرلى فوق الاريكة الجلدية قال جو :

ـ خذ .. اشعل سيجارة ، وقل لى ما هى الحكاية

ـ جو .. اننى جئتك لطلب الرأى .. والمساعدة . ان البوليس سيكون فى أثرى غدا حالما تكتشف الجريمة

ـ من القتيل يا فرانك ؟ ..

ـ سالى كافينس ..

قال ويفرلى هذا ، واخرج منديلا مسح به عينيه .. فردد جو الاسم قائلا :

ـ سالى كافينس ! ! ..

كان جو يعرف الكثير عنها .. كانت مطلقة جميلة حمراء الشعر ، وكانت عشيقة ويفرلى ..

على إنه قال له :

ـ سأعمل قهوة .. انها ستفيدنا نحن الاثنين ..

رأى جو أن ويفرلى يمكن أن يتمالك أعصـابه فى فترة اعداد القهوة .. ولا شك أن هذه مشكلة عويصة .. لقد كان هو وفرانك ويفرلى صديقين حميمين دائما ، وما يفعله الانسان فى حياته الخاصة هو شىء يعنيه وحده ، وقد حرص جو دائما على الا يخوض فى أمر هذه العلاقة مع فرانك .. ومع ذلك فان جو كان أيضا صديقا لواندا ويفرلى زوجة فرانك .. وكانت واندا غنية الميراث ، والمتصرفة بالمال فى الأسرة ، وقد أمدت فرانك بالأموال اللازمة فى مشروعاته الانشائية المبكرة حتى وصل الى وضـعه الحالى كمقاول كبير ناجح ، يتولى اقامة المبانى والكبارى والطرق الرئيسية ..

كان فرانك يناهز الخامسـة والأربعين ، وواندا

أصغر منه بسبعة أعوام .. وقد مضى على زواجهما خمسة عشر عاما دون أن ينجبا أبناء .. وكانت قصة غرامه الجديد هى القصة القديمة المتكررة دائما ، قصة رجل الأعمال الغنى الناجح الذى يركب راسه بسبب امرأة تصغره بكثير .. فلن سالى وقتها لم تكن بلغت الثلاثين من عمرها ، وكانت جميلة فاتنة ، لها قوام يدير رءوس الرجال عندما تمر أمامهم فى الطريق ..

لم يلبث جو ان أدار مؤشر المنبه بعد ان ضاعت منه فرصة رحلة الصيد فى بحيرة كوف ، فقد كان اليومُ هو العاشر من اكتوبر ، وهو بدء فصل الصيد الذى تتكاثر فيه الأسماك عند سطح البحيرة ..

وحمل جو القهوة الى غرفة الجلوس ، فوجد فرانك جالسا ، وقد دفن وجهه بين يديه ، وبدأ فى حالة أعياء تام ، وكأنه عجوز محطم .. فقال له :

ــ خذ .. أشرب هذه القهوة الساخنة لكى تسرى فى عروقك ..

وسرد فرانك قصته متمهلا ، جملة جملة .. فقال انه انصرف من شقة سالى فى عمارة (سوبير يور آرفر عند الساعة التاسعة والنصف هذه الليلة .. وكانت سعيدة عند انصرافه لأنه أخبرها انه سوف يتزوجها حالما يتم طلاقه من واندا ..

وبعد أن توقف ويفرلى فترة استطرد قائلا :

ــ وعندما رجعت اليها فى منتصف الليل بقليل أحمل اليها أخبارا سارة وجدتها ميتة .. كانت ممددة فوق ظهرها على الأرض ، مضروبة بالرصاص ..

وضع جو فنجانه وقال :

ــ هل رآك أحد وأنت تدخل شقتها أو تنصرف منهـــا ؟ ..

ــ عامل المصعد ، فى أول الليل .. انه رافقنى فى المصعد الى فوق حوالى الساعة الثامنة .. لكنه كان قد انصرف عندما خرجت في الساعة التاسعة والنصف .

ــ وماذا عن المرة الثانية ؟ ..

ــ لم يرنى أحد .. المصعد اتوماتيكى ، والعامل ينصرف فى الساعة التاسعة ..

ــ قلت انك عدت اليها بعد منتصف الليل تحمل أخبارا سارة .. ما هى تلك الأخبار ؟ ..

ــ أظن أن هذا كان بعد منتصف الليل بربع ساعة .. عدت اليها لأخبرها أننا ضبطنا واندا زوجتى فى موقف مشين ، وانها لا يمكن بعد ذلك أن تعارض فى طلاقتنـــا ..

ــ ماذا تعنى بقولك (فى موقف مشين) ؟

ألقي جو هذا السؤال مستنكرا .. فهو كضابط بوليس مدى ثلاثين عاما يعرف جيدا ما يدور فى بلدته ، سواء على السطح أو تحت السطح .. نعم أن واندا كانت حادة الطبع ، لانزاع فى ذلك ، لكنه لم يسمع أبدا أقل شىء يمس أخلاق واندا ..

وقد رد ويفرلى قائلا :

ــ أعنى ما قلته لك حرفيا .. اريد منك أن يبقى هذا الكلام سرا بيننا .. فقد تعقبناها الى فندق بيكاردى حيث ذهبت الى هناك مع رجل ..

فقال جو ببرود :

ــ اى رجل ؟ ..

ــ هارى فاليرى ..

ــ ابن الـــ ... هذا تلفيق منك يا فرانك .. أنا متأكد أن هذا تلفيق .. !

ــ نعم ... هو تلفيق ... فانها رفضت أن نتطلق حتى يمكننى الزواج من سالى ..

فقال جو بحدة :

ــ والآن ماذا تريدنى أن افعل ؟ ..

ــ جو .. ليس لى أحد الجأ اليه الآن ..

ــ وماذا عن واندا ؟ ..

ــ جو يا صديقى .. اننى لم اقتل سالى .. أقسم اننى لم أقتلهــا .. لكن حالمــا تكتشف جثتها ، فان البوليس سيكون فى أثرى .. انهم سوف يستجوبون عامل المصعد ويعرفون اننى زرتها هذه الليلة أن البلدة كلها تعرف العلاقة بينى وبين سالى ..

ــ من غيرك ــ أو واندا ــ يمكن أن يهمه قتل ســالى ؟ ..

فأجاب ويفرلى بلهجة المكروب :

ــ هذه هى العقــدة .. ان وانــدا لديها ما يثبت براءتها ووجودها بعيدا عن مكان الجريمة وقتها .. فانها وصلت الى الفندق بعد الساعة التاسعة بقليل ، وظلت فى الفندق الى أن ضبطناها فيه مع فاليرى ، وكان ذلك فيما بين الساعة العاشرة والنصف والساعة الحادية عشرة الا الربع .. وبعــد انصرافنا ، ركب فاليرى معها ، وقاما بجولة لمدة تقرب من نصف ساعة .. وقد بدا أنها كانت متعكرة المزاج كثيرا ..

فقال جو :

ــ ومن كان معك فى عملية المراقبة والضبط ؟ ..

ــ مخبر خصوصى يعمل لحسابى هو تشوك تشرتشل .. وكان هناك مصور فوتوغرافى يدعى جيم دورنيل .. ثم مدير الفندق ، وأنا ..

ــ وماذا تم ؟ ..

ــ اننى جعلت انتظر فاليرى أمام عمارة (سوبير يور آرمز) طبقا للخطة الموضوعة .. وقد جلسنا فى السيارة نتكلم ونتفق على ما نقوله فى قضية الطلاق اذا رفضت واندا .. وبعد ذلك صعدت الى العمارة لمقابلة سالى ..

ــ هل رأيت أحدا يدخل أو يخرج من (سوبير يور آرمز) وأنت تنتظر فى الخارج ؟ ..

ــ لا ..

ــ وأين زوج سالى المطلق ؟ ..

ــ فى سجن اليفنويرث فى قضية غش تجارى .. وقد سبق الحكم عليه وما زال أمامه سنة فى السجن

ــ ولماذا جئتنى ؟ ..

ــ جو .. اننا صديقان منذ زمن طويل .. أنت تعرف أننى لست قديسا ، لكننى لا يمكن أن أقتل أى انسان .. اننى تابعت نشاطك فى خدمة البوليس سنوات طويلة .. أنت رجل متزن وسوف يكون رجال البوليس أشداء على ، ولكنهم يحترمونك .. ان لك نفوذك عندهم يا جو ..

فقال جو :

ــ ان أول شىء سأفعله هو الاتصال بالبوليس وابلاغهم أن سالى قتلت ..

ــ انتظر يا جو .. لك أن تبلغ البوليس ، لكننى أريد أن تذهب الى شقة سالى وتلقى عليها نظرة .. أبحث فيها عن شىء يمكن أن يرشد الى القاتل ــ وهو ليس أنا .. أنت أقدر مخبر سرى عمل فى البوليس ..

ان القائمين بالعمل الآن ليست لديهم خبرتك ومهارتك ..

ــ عد الى بيتك يا فرانك ..

ــ الى بيتى ؟ .. ليس لى اى بيت اعود اليه بعد الليلة ..

ــ اذن فاذهب الى فندقك ..

ــ سأكون فى فندق واردلو ..

ــ لا بأس .. الزم الفندق حتى نجدك فى اى وقت ..

ومد جو يده الى التليفون ..

* * *

كان ضابط البوليس السرى مارتى ساوير والمخبر دانى هوب ينتظران أمام عمارة (سوبيريور آرمز) عندما وصل جو بسيارته .. ونزل من سيارة كانت واقفة جونى بروكشير ضابط تحقيق الشخصية يحمل كاميرا وحقيبة البصمات ..

وقال ساوير على الفور :

ــ كانت سالى كافينس عشيقة فرانك ويفرلى ، أليس كذلك ؟ ..

ابتسم جو .. كان هو الذى درب ساوير على أعمال البوليس السرى .. وهو لم يخبر ادارة البوليس من الذى أبلغه عن الجريمة ، وها هو ذا ساوير يربط ويفرلى بها ! ..

وتولى بروكشير وضع مسحوق على مقبض باب الشقة ، وما لبث أن قال مستاء .

ــ لا شىء .. المقبض نظيف .

وفتح جو الباب بمفتـــاح ويفرلى ، ودخلوا! .. فشاهدوا سالى ممددة فى وسط الأرضية أمام أريكة .. وكانت تلبس قميص نوم أزرق ، وفى صـــدرها ثلاثة ثقوب من أثر الرصاص ..

وانقض بروكتســير على ثلاث خرطوشات نحاسية فارغة على الأرض ، وقال بعد فحصها :

ــ مسدس أتوماتيكى عيار ٢٥ ..

ووجدوا فونوغرافا نفيسا يعزف احدى سونيتات بيتهوفن بصوت مدوى ، فقال ساوير :

ــ اخرسوا هذا الفونوغراف ! ..

فقال جو مزمجرا وهو يسكت الجهاز .

ــ وهل كان الأفضل عزف (الروك آند رول) فى مناسبة كهذه ؟ ! ..

فقال ساوير :

ــ لابد أنهم كانوا يحتفلون بشىء هنا .. لكن اذا كانوا سعداء الى هذا الحد ، فلماذا قتلها ؟ ..

وجاء المخبر هوب بصـــورة فوتوغرافية فى اطار عثر عليها فى غرفة نوم سالى .. كانت صورة حديثة لفرانك ويفرلى ، وقد كتب أسفلها : « الى محبوبتى العزيزة سالى » ..

وقال هوب :

ــ عار على رجل مثل فرانك ويفرلى أن يفقد عقله من أجل فتاة كهذه .. لكن الحقيقة انها كانت جميلة جـــدا ..

وانهمك بروكتسير فى تصوير الجثة والغرفة وكؤوس الشراب فوق المنضـدة وزجاجة الشـــمبانيا فى اناء التثليج .. وبينما هم يفتشون وينقبون اذ عثر ساوير

تحت وسادة ملقاة فوق الأريكة على مسدس أتوماتيكى عاجى المقبض عيار ٢٥ ..
وبعد أن فحص بروكشير المسدس هز رأسه وقال متأففا :
ـ ممسوح .. خلو من أى بصمات ..
فقال ساوير :
ـ لا بأس .. قل لنا ما لم تقله يا جو .. ماذا تعرف ؟ ..
فأخبرهم جو بتفاصيل زيارة ويفرلى له .. فقال ساوير :
ـ حسن .. لنذهب اليه لكى نستضيفه عندنا .. لابد انه هو الفاعل .. فان لم يكن ، فلا بد أنه يعرف ظروف الجريمة ..
فقال جو :
ـ بلا شك .. فقط هناك شىء واحد لا أفهمه .. اذا كان فرانك ويفرلى قد تشاجر مع سالى وأطلق النار عليها ، فلماذا يترك سلاح الجريمة ، بفرض أن هذا هو المسدس الذى قتلت به ! .. ماذا كان من العقلة بحيث يترك المسدس هنا ، فلماذا اهتم بمسح البصمات منه ؟ ..
فقال ساوير :
ـ لنذهب ونسأل فرانك ويفرلى فى هذا ..
فقال جو :
ـ اذهبوا انتم .. أنه مقيم فى فندق واردلو .. واليكم مفتاح شقة سالى .. اما أنا فسأعود الى بيتى ..

* * *

عندما وصل جو الى بيته أعد طعام الافطار وهو يفكر فى فرانك ويفرلى ، وفى المشهد المؤثر لسالى كافينس الفاتنة التى تمددت جثتها على أرض مسكنها .. ولكن أكثر تفكيره كان موجها الى واندا ويفرلى ..

لقد عرف واندا كاحدى كرائم السيدات فى مدينة فورت ساندرز .. كانت غنية .. ويمكن أن تكون قوية الشكيمة صعبة المراس .. وكانت مشهورة بادارتها الحازمة لبعض المؤسسات النسائية التى تشرف عليها .. لكن كان المعروف عنها لدى الجميع انها زوجة وفية متفانية .. ولم تعلق بسمعتها أدنى فضيحة حتى عندما كانت البلدة تتناقل أخبار علاقة فرانك وسالى .. ان فرانك كان يتردد على سالى منذ سنتين ، ولم تكن قصتهما الا قصة عاشق أحمق وصيادة مال حسناء ..

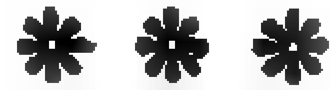
ويفرض أن فرانك وسالى تشاجرا .. وربما هددت سالى بابتزازه .. لكن قلة من الرجال يعمدون الى اطلاق الرصاص على امرأة تهددهم بالابتزاز .. انه قد يضربها بل حتى يخنقها فى سورة غضب .. ومع ذلك لو أن ويفرلى سلك المسلك البعيد عن المألوف وأطلق النار على سالى ، فماذا اهتم بمسح بصمات أصابعه عن المسدس وتركه حيث يعثر عليه على تلك الصورة ؟ ..

وهناك نقطة أخرى أيضا .. أن المسدس الصغير ذا المقبض العاجى عيار ٢٥ هو سلاح امرأة .. فالرجل يستخدم مسدسا أكبر ، من عيار ٣٢ أو ٣٨ على الأقل ..

والمقبض العاجى أيضا هو لمسة نسوية .. لكن أية امرأة ! .. ان المرأتين الوحيدتين المتصلتين حتى

الان بالقضية هما سالى القتيلة المتكودة وواندا ويفرلى .. لكن واندا كانت فى فندق بيكاردى فى الوقت الذى لابد أن تكون الجريمة تمت فيه ، ولديها شهود يثبتون ذلك — أفضل شهود اثبات — فهم زوجها ، ومخبر سرى خصوصى ، ومصور ، ومدير فندق ، وفاليرى .

مهما يكن فقد صمم جو على اتمام رحلة صيد السمك التى كان يزمع القيام بهـا .. كان فى نيتـه أن يغزو بحيرة كوف عند شروق الشمس ، وقد تأخر ساعة عن الموعد الذى قدره ، لكنه اذا ضاعف سرعة السيارة فربما يكون بوسعه تعويض الوقت الضائع .



ظل جو يصطاد حتى الظهر .. لكن الحظ لم يحالفه وكانت حصيلته ضئيلة .. ومع ذلك فقد استغرق هذه الساعات فى التفكير وتقليب قضية قتل سالى على كافة وجوهها ..

وما أن عاد من الرحلة حتى غير ملابسه وقصد الى ادارة البوليس .. وهناك زوده بروكشير بأنباء جديدة .. فقد أخبره أن الرصاصات التى استخرجت من جثة سالى بعد التشريح قد أطلقت من المسدس الصغير الذى عثر عليه تحت الوسادة ، وقد اعترف ويفرلى أنه اشترى هذا المسدس منذ ثلاث سنوات .. وقال بروكشير أنه لن يأتى الغد حتى يوجه المدعى العام تهمة القتل الى ويفرلى بصفة رسمية ..

فقال جو :

— وهل اعترف ويفرلى بشىء ؟ ..

فأجاب بروكشير :

— لا .. أقسم أنه لم يعرف شيئا عن مقتل سالى

الا بعد أن دخل شقتها وعثر عليها ملقاة على الأرض .. وقال أنه ذهب اليك على الأثر مؤملا أن يكون بامكانك مساعدته ..

انتقل جو الى زنزانة ويفرلى وجلس معـــه على حافة السرير الصغير قائلا :

ــ ما رأيك بخصوص المســدس يا فرانك ؟ .. قالوا انه يخصك ..

ــ يخصني بلا شك .. وقد قلت لهم اننى اشتريته من محلات ستار منذ ثلاث سنوات .

ــ وكيف تفسر أنه كان السلاح الذي ارتكبت به الجريمة ؟ ..

ــ لا يمكننى تفسير ذلك ــ فيما عدا أن المسدس سرق من كابينتى على شاطىء بحيرة (شوجار لوف) فى حادث سطو منذ أسبوع .. (والشريف) عنده تقرير بهذا الحادث ..

ــ ولماذا كان المسدس موجودا فى الكابين ؟ ..

تردد ويفرلى برهة قبلما أجاب :

ــ أن المسدس يخص واندا .. وقد اشتريته لها منذ ثلاث سنوات ..

ــ وكيف دخل اللصوص الى الكابين ؟ ..

ــ كسروا النافذة ، ثم تسلقوا الي الداخل عن طريقها ..

ــ الا تزال مصرا على كلامك ، من انك لم تقتل ســـــالى ؟ ..

ــ جو .. انت تعرف اننى لم اقتلها .. انا برىء اننى ارجوك أن تساعدنى ..

انصرف جــو من الزنزانة .. وعند باب الممشى تقابل وجها لوجه مع فرازير أماندا ، وهو من أقدر المحامين الجنائيين فى المدينــة .. وقد أومأ امانــدا برأسه واتجه الى زنزانة ويفرلى .. فلم يتمالك جو أن قال لنفسه : جميل .. على ويفرلى أن يدفع من ماله عشرة آلاف دولار على الأقل أتعاب محاماة !..

* * *

عندما أوقف جو سيارته أمام منزل ويفرلى ، بدت له المرأة التى خرجت من المنزل وركبت سيارة أجرة فى حالة اضطراب ، ولم تتوقف لكى تتكلم معه ، على الرغم من أنه يعرفها جيدا ..

كانت اليزابيث اندروز ، وهى الوحيدة الباقية من أسرة تعتبر من أعرق الاسرات فى (فورت ساندرز) ، وكانت صديقة لواندا ويفرلى منذ الطفولة .. ولعلها كانت تزور واندا للاعراب عن عطفها ، فان قصة مقتل ســالى والقبض على فرانك ويفرلى عرضت فى التليفزيون طوال النهار ..

ردت وصيفة على جرس الباب .. ولم يطــل به الانتظار فى غرفة الجلوس حتى جاءت واندا ويفرلى على الاثر .. وقالت له :

— انى مسرورة بحضورك يا جو ..

— واندا .. ما هذا الكلام الفارغ الذى سمعناه عن ذهابك الى فندق بيكاردى مع هارى فالبرى ؟ ..

تورد محياها ، لكنها تمالكت بسرعة .. وقالت :

— يا جو . ان زوجى فرانك .. أنه لم .. ان

مستر فاليرى رجل ظريف ..
فقال جو :
ــ وانت كذابة ظريفة .. هيا تكلمى .. ساعدينى ياواندا .. انت امرأة ذكية ، وانا أعرف عنك أفضل من هذا الذى قيل وتردد ..
فضحكت قائلة :
ــ لحساب من تشتغل ؟ .. لحساب فرانك ؟ ..
ــ نعم ، لفرانك .. لكن ليس من أجل المال .. انه زارنى فى الليلة الماضــية بعد أن عثر على جثة مس كافينس ..
ــ نعم .. اعرف هذا .. ان كل شىء عرض فى التليفزيون طول النهار .. وقد زارنى رجال البوليس صباح اليوم ، ولكن لم يكن لى علم بأى شىء طبعا .. مسكين فرانك .. كنت أخاف عليه من الوقوع فى ورطة مع تلك المدعوة سالى كافينس ..
ــ لقد اخبرنى فرانك أنه لفق حكاية ضبطك فى الليلة الماضية مع هارى فاليرى ..
ضحكت واندا مرة أخرى ، لكنها لم تقل شيئا ..
فراح جو يقول :
ــ واندا .. اننى جئت اليــك أولا .. واذا لم تتجاوبى معى فاننى سأذهب الى هارى فاليرى .. بامكانى أن أجد طريقة لاجبار فأر مثل فاليرى على الكلام .. ان فرانك اعترف لى بأنه لفق الحكاية .. وأنا أعلم يقينا انك لم تكونى متيمة بهارى فاليرى ، فأنت امــرأة عاقلة .. وأعرف انك لم تذهبى الى الفندق لاثارة غيرة فرانك . انك عارضت دائما منحه حريته لكى يتزوج سالى .. فليس من المنطق ولامن

المعقول أن تذهبي فجأة الى ذلك الفندق مع هاري فاليري ..

راحت واندا تتفرس في جو برهة ثم ابتسمت قائلة :

— لا بأس يا جو .. كنت أعرف منذ دخولي الى هذه الغرفة انك سوف تصر على معرفة الحقيقة .. انني لم اقع في غرام ذلك الكازانوفا : هاري فاليري .. انه اصغر مني بعشر سنين ، وأنا امرأة متزوجة .. ولست من طراز أولئك النساء ..

— اذن لماذا .. ؟

— كان واضحا منذ البداية أن فرانك استأجر هاري لاغوائي .. وقد تعمد فرانك أن يكثر من القيام برحلات الى خارج المدينة خلافا لعادته ، لكي يمهد لهاري كل فرصة لمقابلتي .. وقد صحبني هاري لتناول العشاء في الخارج مرات ، واعرب عن افتتانه بي وزل لسانه فقال ان فرانك يخونني مع سالي ، وهو ما كنت أعرفه منذ فترة طويلة ..

« لكنني أرغمت هاري على كشف أوراقه ، ورشوته بالمال حتى اعترف لي بأن فرانك وعده بألف دولار اذا جعلني اذهب معه الى فندق .. وبالطبع كان غرض فرانك من هذا هو توريطي حتى يسهل الايقاع بي في قضية الطلاق التي كان يدبر لها ..

— وهكذا قدمت له نفسك أداة سهلة لتحقيق غرضه ؟ ! ..

— نعم .. لكن لغرض آخر .. فبفضل الرشوة المضادة من جانبي ، حصلت على وعد من هاري بأن يذكر هذا التلفيق أمام محكمة الطلاق ... وقد كنت

واثقة من انه حينما تعرض الصورة كلها أما القاضي ، سوف اتكفل انا ومحامي بجعل فرانك ويفرلي يكره اليوم الذي اتفق فيه على هـذا التلفيق مع هاري فاليري ..

ويندم على معرفته بسالي كافينس ..

لم يتمالك جو ان صفر قائلا :

ــ اما انا فسأكره ان أجلس معك حول مائـدة لعب الورق في اي يوم ! ..

فضحكت واندا قائلة :

ــ انا لست ملاكا يا جـو .. ان ابي لم يترك امواله لي لكي أدع رجلا مثل فرانك ويفرلي يأخذها مني غنيمة باردة .. ولا حتى سالي كافينس ايضا .. واذا وصلت الأمور الى الاشتباك في معركة قذرة ، فبامكاني ان اكون مثلهم ، او أقذر ! .. انني أعرف كيف أكره يا جو .. انني لا انسى ابدا .. ولا أصفح ابـدا ..

فقـال جو :

ــ لا بأس .. كنت أريد ان أعرف منك ماذا تريدين ان افعل بفرانك .. مهما يكن فلا بد أن يكون لديك شيء من المودة له بعد زواج خمسة عشر عاما ..

بدت واندا لحظة وقد فارقها الاعتداد والقوة ، وراحت تقول :

ــ انني أحببت فرانك أشد الحب يا جو ، ومنحته كل شيء .. انني كنت مثال الوفاء والاخلاص له قلبا وقالبـا .. ثم جاءت تلك الفاجرة سـالي كافينس واعترضت طريقـة .. وكل ما كان يريـده طوال

السنتين الماضيتين هو الطلاق .. وهذا شيء يجرح الشعور يا جو .. كما كان يريد بالاضافة الى ذلك ، نصيب الأسد من ثروتنا المشتركة .. من أجل سالى !.

وعادت الى الضحك .. وبدأ لجو انها على حافة الهستيريا وهي تقول :

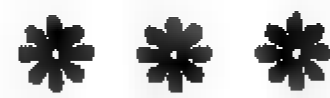
ــ ليتنى رأيت وجهه عندما دخل الى شقتها ووجدها ممددة جثة هامدة على الأرض ! ..

وفى هذا المساء واجه جو الشاب المفتون هارى فاليرى وضيق عليه الخناق حتى اعترف له بكل مايعرفه .. كيف استأجره فرانسك ويفرلى لاغواء زوجته ، وكيف فطنت واندا الى لعبته واستطاعت اغواءه بمال أكثر لكى يخون ويفرلى ويخدعه ..

فسأله جو :

ــ ومتى وافقت مسز ويفرلى على تمثيل الدور معك ؟ ..

ــ منذ نحو اسبوعين .. دعنى أتذكر .. كان ذلك فى الليلة التى كان المفروض أن يذهب فيهــا زوجها الى مدينة سانت لويس .. نعم .. كان ذلك منذ اسبوعين فعلا .. وقد قالت انها ستمثل قصة غرامية ملفقة فى الفندق .. وهكذا كانت الحكاية كلها تلفيقا فى تلفيق ! ..



بعد أن تناول جو عشاءه هذه الليلة ، أمضى ساعة كاملة وهو يذرع غرفته جيئة وذهابا مستعرضا جوانب القضية ، وهو يدق بقبضته حينا ويحك رأســه الأشيب أحيانا ..

بدا له أنه لابـــد من وجود طرف رابع فى قضية القتل هذه ... ولا يمكن أن يكون هذا الطرف الرابع هو هارى فاليرى ، لأن حركات هارى كانت معروفة مسجلة طوال الليلة التى قتلت فيها سالى كافينس .. فانه كان مع واندا ويفرلي ، أو فى مسكنه ينتظر مكالمة من واندا . أو مع فرانك ويفرلي ، وذلك طيلة الوقت فيما بين انصراف فرانك من شقة سالى وعودته اليها لكى يعثر عليها جثة هامدة ..

ولا يمكن أن يكون هذا الطرف الرابع واندا . وان كان قد عرف الآن . منذ أن رآها تفقد أعصابها ، مدى العذاب الذى سببه لها فرانك وسالى ، ومدى المرارة والكراهية لا حيال سالى فقط بل ربما حيال فرانك أيضـــا .. لقد كان يعلم انها كامرأة لا تتردد فى قتل سالى ، لو أن الفرصة سنحت لها ، لكن براءة واندا تتمثل فى وجودها وقت وقوع الجريمة مع هاليرى فاليرى فى الفندق .. أن ساوير وهوب قاما بالتحرى فى الفندق ، وقد ثبت انها كانت هناك منذ الساعة التاسعة والربع فصاعداً .. وقد طلبت ارســـــال القهوة اليها فى غرفتها فى الساعة التاسعة والنصف ، ثم أعادت الصحفة فى الساعة العاشرة ..

ومن المؤكد أن هذا الطرف الرابع لا يمكن أن يكون فرانك ويفرلي .. بمعنى أنه لم يكن لذلك سبب قبل حكاية مفاجأة واندا وهارى فى الفندق .. أن هذه الحكاية قد دبرت لكى يتمكن فرانك وسالى من الزواج بتوريط واندا فى فضيحة حتى يجبرها على الطلاق .. ومع ذلك ، اذا فرض ان فرنك قتل سالى عندما ذهب الى شقتها فى المرة الثانية ، فلأى سبب ؟ .. ولماذا

حرص على مسح بصمات أصابعه من سلاح الجريمة ثم تركه فى المكان ، موضوعا تحت وسادة فوق الأريكة ؟ .. كلا .. ليس مما يتفق والمنطق أن يفعل فرانك هذا .. ثم أن وجود زجاجة الشمبانيا فى اناء التثليج شاهد صامت على أن فرانك وسالى كانا ينويان احياء هذه المناسبة سارة ، لو نجح كل شيء فى حكاية الخيانة الملفقة وضبط واندا مع هارى فى فندق بيكاردى ..

لابد اذن من وجود شخص آخر غير هؤلاء ... طرف رابع ضالع فى هذه المعضلة العويصة .. شخص كان يكره سالى كافينس .. هل يمكن أن يكون عاشقا منبوذا ؟ .. كل شيء جائز بالنسبة لرجل أعمته الغيرة .. واذا صح هذا ، فما صلة مسدس واندا بالجريمة ؟ .. أهى مصادفة ؟ هل سطا العاشق المنبوذ على كابينة واندرلى ، وسرق المسدس ، ثم قتل سالى ؟ .. ان عنصر المصادفات فى هذا الاحتمال أكثر مما يمكن قبوله والتسليم به .

شعر جو بعد هذه الاستنتاجات ان قضية مقتل سالى كافينس هى أعقد ما مر به فى حياته .. ولهذا قرر أن يترك استدلالاته جانبا فى الوقت الحالى ويعود الى الاجراءات البوليسية المعتادة ..

بدأ بمراجعة التحريات التى أجراها ساوير وهوب فى الفندق .. فتبين له ان التقرير الذى قدم عن مدة بقاء واندا ويفرلى هناك دقيقة لاشك فيها : فيما يختص بوقت حضورها وتسجيل اسمها ، والوقت الذى اتصلت فيه بادارة الفندق طالبة القهوة ، والوقت الذى أعادت فيه الصحفة .

وقصد جو بعد ذلك الى مقر شركة سيارات بلاك

اندهوايت ليعرف ان كانت واندا قد ذهبت الى فندق بيكاردى بسيارتها الخاصة أم انها طلبت استئجار سيارة من الشركة ؟. لقد أخبره ويفرلى ان غاليرى واندا ركبا معا حوآلى نصف ساعة بعد مداهمة غرفتها فى الفندق ، لكنه لم يبين له ما اذا كان غاليرى قد صحبها الى بيتها مباشرة أو عاد بها الى الفندق ، اذا كانت واندا قد تركت سيارتها تنتظر ، ربما فى الشارع ...

وفى تحرياته لدى شركة السيارات ، لم يعثر على مكالمة بطلب سيارة أجرة لمنزل ويفرلى .. فاتجه جو الى .. بحث طلبات استئجار سيارات لفندق بيكاردى تلك الليلة .. فوجدها ثمانية .. منها خمسة فى أول الليل فيما بين الساعة السادسة والساعة التاسعة مساء ، وطلب فى الساعة العاشرة وعشر دقائق ، وطلبا حوالى منتصف الليل ..

كان طلب الساعة العاشرة وعشر دقائق لافتا للنظر .. كان خاصا بالسيارة رقم ١٥٠ بقيادة السائق تشوك فرامبرز .. ولما ناقشه جو وجده يتذكر هذا الطلب .. كانت الطالبة سيدة وسيمة فى نحو الأربعين من عمرها ، وكانت تلبس فستانا أزرق .. وقد أقلها من الفندق الى منزلها رقم ٢٠١ فى شارع نورث سكستين ، ولم يستطع الآن أن يتذكر اسمها .. وقال ردا على سؤال انها لم تكن فى حالة سكر ، ولا من نوع النساء المنحلات ، وأنما كان مظهرها يدل على الاحترام ، وكانت شقراء الشعر ، جذابة جدا فى تقديره ..

والواقع ان أمر هذه السيدة الجذابة التى عادت

وحدها من فندق بيكاردى فى الساعة العاشرة وعشر دقائق ليلا قد أثار فضوله ..

وزيادة فى البحث قصد جـو بسيارته الى شركة السيارات الأخرى المعروفة باسم (تشيكارد كاب) لمتابعة التحريات .. وكان الحظ حليفه فى الحال .. فقد تبين من سيل الطلبات أن السيارة رقم ٢٣٥ ذهبت الى المنزل رقم ٢٠١ بشارع (نورث سكستين) فى الساعة التاسعة و ٨ دقائق .. وبسؤال سائقها ليم جونسون قال :

ــ نعم .. كانت سيدة ظاهرة الوجاهة تلك التى اركبتها من المنزل رقم ٢٠١ .. واتذكر انها كانت تلبس بدلة زرقاء فاتحة .. وهى طويلة قليـلا ولكنها متناسبة ، وشعرها اسود .. اننى لم أرها من قبل ، ولكننى حديث العهد بالعمل فى هذه البلدة .. وقـد اركبتها الى فندق بيكاردى .. وكانت فى حالة انفعال ظاهر .. ولم تكن من النوع المعروف ، وانما كانت سيدة محترمة ..

يا للغرابة .. شـقراء الشـعر .. سـوداء الشعر !.. سيدة سوداء الشعر تذهب الى الفندق .. وسيدة شقراء الشعر تعود من الفندق !.. وفيما عدا ذلك فان أوصاف الاثنتين متطابقة !.. لابد أن أحـد السائقين مصاب بعمى الألوان !..

مهما يكن فقد قصد جو من فوره الى المنزل رقم ٢٠١ بشارع نورث سكستين .. وفى الطريق سطعت الحقيقة فى ذهنه فجأة .. انه يعرف من تقيم فى هذا العنوان .. وهكذا قصد الى ادارة البوليس مباشرة ..

وجد الضابط مارتى ساوير يستعد لركوب سيارته .
فقال له جو :
ــ تعال واركب معى ..
ــ ولماذا ؟..
ــ سنذهب للتحدث مع شخص معين ..
ــ فى أى شىء ؟..
فقال جو :
ــ هل تأتى ، أو أذهب الى (الشريف) ؟..
فانتقل ساوير الى سيارة جو وقال :
ــ والى أين نذهب ؟..
ــ سنذهب لتبادل حديث قصير مع مس اليزابيث اندروز بخصوص قضية مقتل سالى كافينس ..
صفر ساوير ، قائلا :
ــ لم أسمع أن ويفرلى كان يحوم حولها يا جو ..
فقال جو :
ــ ولا أنا ...
وتوقف أمام بيت قديم من القرمين فى حاجة ظاهرة الى الترميم ، وكان على بابه لافتة تحمل هذا العنوان : (مدرسة الدراما) ..
جذب جو جرس الباب العتيق ، فخرجت اليزابيث اندروز مرتدية معطفا منزليا أزرق .. وكانت بادية الجمال ، وكان شعرها الأشقر البلاتينى مصففا بفن ..
وقالت على الأثر :
ــ آه .. مستر جو تشافيسكى .. اننى لم أكد أعرفك .. اننى فى حالة ارتباك لا أكاد أعرف معها ما أفعل .. اننى سأغلق مدرستى يا مستر تشافيسكى ..
ــ تغلقين مدرستك ؟..

بدت عينا اليزابيث محمرتين .. اذ كانت تبكى .. وقد ذهبت بهما الى غرفة الجلوس قائلة :

ـــ نعم .. سأغلقها .. سينشر اعلان بهذا المعنى فى الجريدة .. سأعود الى هوليوود ... لكن تفضلوا بالجلوس .. هل من خدمة اقوم بها ؟..

فقال جو :

ـــ تقولين عائدة ؟..

ـــ نعم .. لابد انك تتذكر .. اننى كنت فى هوليوود منذ سنوات .. جميل جــدا أن يعود الانســـان الى هنـــاك ..

ـــ هل تعاقدت على احد الافلام ؟ ..

ـــ ليس هذا بالضبط .. سأذهب الى هناك لتمضية الشتاء ، وللتشاور مع وكيلى .. بودى أن انضم الى التليفزيون .. لكنك يا مستر تشانيسكى لم تعرفنى بصاحبك .

ـــ اقدم لك مارتن ســـاوير .. ضـــابط البوليس السرى فى الادارة ..

ـــ ادارة البوليس ؟.. لطفك يارب !.. وكنت اثرثر طول الوقت !.. لماذا جئتم لزيارتى ؟..

فأجاب جو بصراحة :

ـــ بخصوص قضية فرانك ويفرلى ..

فجأة امتقع وجه اليزابيث .. ثم احمر بشدة ..

ـــ انت صديقة حميمة لواندا ويفرلى .. أليس كذلك ؟.. اننى رأيتك تنصرفين من منزلها بعد ظهر امس ..

ـــ هى صديقة عزيزة ، عزيزة جدا ، يا مستر تشانيسكى .. لقد حزنت جدا عندما سمعت بحكاية

سالى فينس فى التليفزيون ، والقبض على فرانك ويفرلى .. وفى الحال ذهبت لمقابلة واندا .. انها لا تستحق هذا .. انها سبب وصول فرانك الى مركزه الذى هو فيه اليوم .. انه لم يكن شيئا حتى تزوجها ..

ــ نعم .. نعم .. أعرف هذا .. اننا جئنا لمصاحبتك الى منزل واندا ..

ــ لكن واندا لا تحتاج الى وجودى مرة ثانية .. اننى فعلت كل ما فى قدرتى ..

فقال جو وهو يبتسم بغير مرح :

ــ لا أظن هذا ..

جعلت تتفرس فى وجهه .. ثم قالت :

ــ لا بأس .. سأغير ملابسى ..

ظلت اليزابيث صامتة طوال الطريق الى منزل ويفرلى .. وعندما خرجت اليهم واندا بدت شاحبة ، ولكنها رغم ذلك بقيت مرفوعة الرأس ..

قالت :

ــ انت مرة اخرى يا جو ؟.. وانت يا اليزابيث ؟.

طرق جو صميم الموضوع قائلا :

ــ اقدم لك ضابط البوليس السرى مارتن ساويز . اننا كنا نراجع تحركات مس اندروز فى الليلة التى قتلت فيها سالى كافينس ..

نهضت اليزابيث فى مقعدها نصف نهوض وقد ارتفعت يدها بسرعة الى فمها ، قائلة :

ــ واندا .. اننى لم أخبرهم بأى شىء !..

فقال جو :

ــ الا تريدين يا واندا أن تخبرينا بكل شىء ؟ ..

ــ أخبركم عن أى شىء يا جو ؟..

ـ نريد أن نعرف الى أى حد تورطت مس اندروز فى هذه القضية معك يا واندا .. سيكون من المحزن والمخجل أن تضيع منها فرحة العودة الى هوليوود ..

لأول مرة نكست واندا رأسها .. وراحت تقـول بصوت لا يكاد يسمع :

ـ لا فائدة .. لا فائده من الانكار .. ما كنت تحضر هنا ان لم تكن تعرف الحقيقة .. وكنت أظن اننى شديدة الذكاء !..

ثم عاودت رفع رأسها ، وعاد الى صوتها رنين القوة والتحدى وهى تقول :

ـ ان اليزابيث بريئة تماما .. لعنة الله عليك يا جـو ...

وخففت لعنتها بابتسامة ، قائلة :

ـ انها فطنت الى الحقيقة عندما سمعت حكاية سالى فى التليفزيون أمس ، وجاءت الى لمواجهة الموقف معى .. لكننى طلبت منها أن تلزم الصمت ، وأن تنسى ما لا تعرفه معرفة اليقين وتظنه ظنا ، على أن أتكفل بدفع نفقاتها فى هوليوود لمدة ستة شهور على الأقـل ..

فكررت اليزابيث قولها :

ـ اننى لم أخبرهم بأى شىء ! ..

فابتسمت واندا قائلة :

ـ لا تشغلى بالك يا اليزابيث .. ان اتفاقنا لا يزال قائما .. اسمع يا جو .. ان كل ما فعلته اليزابيث من أجلى حتى أمس هو تمضية ساعة أو نحوها فى دور واندا ويغرلى بفندق بيكاردى .. اننى كنت أعرف شدة حاجتها الى المال ، وقـد أخبرتها اننى سأدفع لهـا

مائتي دولار اذا سجلت نفسها باسمي في الفندق ، وقلت لها أن فرانك يحاول تلفيق تهمة ضـــدي ، وانه من الضروري أن أكون في مكانين في وقت واحد تلك الليلة .. فوافقت .. وقد ذهبت الى الفندق في وقت مبكر ، متنكرة في شخصيتي : بنفس ملابسي ، وبباروكة سوداء تشبه شعري الطبيعي .. واتصلت بادارة الفندق في مدى ثلث ساعة كما لقنتها أن تفعل ، طالبة ارسال بعض الطلبات .. وكان هذا بقصد ايجاد دليل يثبت (انني) كنت في الغرفة طول تلك الفترة .. وبعد وقت أعادت الأطباق الفارغة الى بوفيه الفندق ، بعد أن أعطت الخادم نفحة سخية لكي يتذكرها .. ان موظف الاستقبال لم يكن يعرف أية واحدة منا نحن الاثنتين .. وهذا هو كل ما فعلته اليزابيث أو كانت تعرفه ..

— اننا لن نتقدم بأية اتهامات ضد مس اليزابيث ..

قال جـــو هذا ، وان كان يعرف أنها ســـوف تكون الشاهد الرئيسي في المحاكمة ..

واستطردت واندا تقول :

— عندما تتملك الكراهية أية امرأة فانها تعميها عن العقل والتفكير .. ان فرانك أصبح محتقرا في نظري .. والواقع انني بدأت أكرهه أكثر مما كرهت سالي .. ولم تكن المسألة مسألة المحافظة على ثروتي ، الثروة التي تركها لي أبي .. لقد أردت أن أجرح فرانك بأسوأ طريقة ...

فقال جـــو :

— وهكذا وضعته في المصيدة .. لقد وافقت على تمثيل اللعبة مع هاري فاليري ، وبهذه الكيفية تثبتين وجودك بعيدا عن مسرح الجريمة وقت وقوعها ...

وطلبت من مس اندروز أن تنتحل شخصيتك وأن تسجل نفسها باسمك فى فندق بيكاردى .. وكان الترتيب المتفق عليه هو أن تتصلى تليفونيا بفاليرى فى مسكنه ، فيأتى الى غرفتك فى الفندق — لكى يتبعه بعد ذلك بربع ساعة زوجك ، والمصور ، وغيرهما من الشهود ..

— نعم يا جو .. وعندما سجلت اليزابيث نفسها فى الفندق باسمى ، كنت انتظر على مسافة قصيرة من عمارة (سوبيريدر-آرمز) الى أن خرج فرانك من شقة سالى .. وبالطبع كنت اعرف منذ شهور مكان عش الغرام .. وكان معى المسدس الاتوماتيكى الصغير .. وهو المسدس الذى أبلغ فرانك عن سرقته من الكابينة على شاطئ البحيرة .. وقد خرج فرانك من عند سالى حوالى الساعة التاسعة والنصف ، فركب سيارته وذهب لمقابلة هارى فى مسكنه .. وعندئذ دخلت الى العمارة مباشرة ، لابسة باروكة شقراء لئلا يصادفنى أحد ، وهو ما لم يحدث .. وعندما فتحت لى سالى الباب قليلا لم تعرفنى بهذه الباروكة ، فهمست اقول لها ان عندى رسالة من هارى فاليرى ، وادخلتنى .. وعندئذ رفعت الباروكة ، لكى تعرف من أنا ، وأدرت الفونوغراف ، وفى الضوضاء أطلقت عليها ثلاث رصاصات وهى تتحب مسترحمة وأنت تعرف الباقى ...

اوما جو ، وقال :

— بعدئذ ذهبت انت الى الفندق ، وصرفت مس اليزابيث ، وكلمت هارى فاليرى تليفونيا فى شقته .. وكان تصورك هو انك ضمنت ما يثبت وجودك بعيدا عن مكان الجريمة وقت وقوعها .. (فانت) كنت فى الفندق

طيلة الأمسية ، وبعدها تقابلين هاري غاليري في الفندق ، ويكون زوجك ومرافقوه شهودا على عدم امكان قيامك بقتل سالي كافينس وأنت تحت نظر الجميع !..

فرفعت واندا رأسها شامخة وقالت :

ــ ان التخلص من سالي أعطاني ترضية هي عندي أغلى من كل شيء في الدنيا ..

قاتل .. رغم أنفه

بـــدا المتهـــم بالسرقة أهـــدأ الموجـــودين فى مكتب (الشريف) ..

كان قصيرا ضئيل الجسم متوسط العمر كثيف الشعر اشيبه .. وكان يبدو فى عينيه الباهتتين شيء كالوميض وهو يدير نظره فيمن حوله ؛ من الشهود الى (الشريف) ادوارد كارسون الى شخصي .. لكنه تجاهل مساعدى الشريف اللذين وقفا خلفه على مسافة قصيرة ..

وراح (الشريف) يتصفح الأوراق التى أمامه وهو جالس الى مكتبه ، بينما كان الشاهدان جيز هاربر وزوجته سالينا يدليان بأقوالهما ..

قال الشريف :

ـــ نريد الآن كلاما واضحا .. ان هذا الشخص قد دخل الى متجركما الكائن على الطريق السريع الغربى فى الساعة الثامنة ـــ منذ نصف ساعة .. ثم ..

ولكن جيز هاربر تدخل قائلا :

ـــ اننى عرفته فى الحال لحظة دخوله ..

كان صاحب المتجر رجلا بدينا كاد يحتجب خلف سحابة الدخان المتصاعد من سيجار كان ينفخه متلاحقا ، وقد أضاف قائلا :

ـــ عرفته من الأوصـــاف التى جـــاءت عنـــه فى الجرائد ..

فقال كارسون :

ـــ حسن .. كان المحل خاليا من الزبائن وقتها ..

وهكذا تقدم هذا الشخص اليك مباشرة وأنت واقف خلف المنصة وسحب مسدسه .. ثم طلب منك أن تعطيه النقود من الخزانة ..

ــ نعم اننى جعلت أجاريه ، فى انتظار الفرصة السانحة ..

وحرك هارير السيجار من طرف فمه الى الطرف الآخر ، وصوب الى المقبوض عليه نظرة صارمة ، قائلا :

ــ اننى تقدمت الى الخزانة ، متظاهراً بالخوف منه .. فتبعنى وهو يصوب مسدسه الى مباشرة .

انتظر الشريف صابرا لكى يعجل هارير بذكر باقى ما حدث .. ثم قال :

ــ مفهوم .. ثم أخرجت النقود من الخزانة لكى تقدمها له .. وعندئذ جاءت زوجتك من داخل المحل وصرخت .. فالتفت اللص اليها ..

فقال هارير باعتداد وزهو :

ــ وكانت هذه هى اللحظة التى هاجمته فيها .. اننى أطرت المسدس من يده ، وأوقعته على الأرض .. وقلت له انه اذا أبدى حركة واحدة ، فاننى سأجهز عليه ..

تململ السجين فى مقعده قرب الحائط والمساعدان عن جانبيه .. وبدت أسنانه الأمامية العليا ناقصة ، ولذلك قال بلثغة ظاهرة :

ــ مستر هارير قوى متين فعلا ..

خيم صمت يسير .. وعندئذ نظر كارسون الى سالينا قائلا :

هذا هو ما حدث فعلا يا مسز هارير ؟..

كانت امرأة نحيلة متوسطة الكتفين تلبس نظارة بلا اطار كانت لا تفتأ تنزلق على نفسها .. ولم تكن نظراتها تفارق زوجها ..

وقد ردت على السؤال بايماءة خجولة قائلة :

ـ نعم يا سيدي .. وما أن أوقع جيز هذا الرجل على الأرض حتى طلب مني الاتصال بمكتبكم ..

وبعد أن استوفى (الشريف) بعض التفاصيل الضرورية سمح للزوجين بالانصراف ، فبدا جيز هاربر أكثر الاثنين تعجلا لذلك ، وقال وهو يتقدم الى باب المشى ، ناشرا خلفه سحابة من دخان السيجار :

ـ لا تزال أمامنا ساعة قبل موعد اغلاق المحل .. وهذا مساء السبت ، أفضل ليالى الأسبوع للمحل .. أسرعي يا سالينا ..

سارت زوجته فى أثره ، وعند الباب توقفت وأدارت رأسها الى ناحية الشريف وناحيتى ، وصوبت الى السجين نظرة قصيرة ، ثم تبعت زوجها الى خارج المكتب ..

وقال السجين وهو يدعى روى فالك :

ـ الحقيقة ان المرأة هى صاحبة الفضل ، ان كان لهذا فرق فيما حدث .. انها جاءت من خلفى وأخذت تنهال على بمكنسة .. وحتى تلك اللحظة كان ذلك الثرثار الجعجاع يكاد يموت من الرعب .. ولم يقم بالهجوم على فعلا الا بعد أن أطارت زوجته المسدس من يدى ..

رحت أتفرس فى روى فالك وهو يرفع يديه المكبلتين بالقيد الحديدى لمسح عرقه .. كانت ليلة من ليالى الصيف الحارة الرطبة ، ولم تفلح مروحة السقف

العتيقة فى تلطيف حـــدة الطقس .. وكان من الصعب ان يصدق أحد أن هذا الشخص الوديع المظهر يمكن أن يرتكب أكثر من عشرة حوادث سطو خلال الشهرين الفائتين .. ولكن هذا ما فعله .. ولم يكن هناك شك فى انه طريدنا المطلوب ..

وقد رد على تحديقى بنظـــرة من عينيه الزرقاوين الباهتتين ، وابتسامة من أسنانه الشاغرة ، قائلا :

ــ بما انك انت وكيل النيابة فى المقاطعة يا مستر جيتس ، فاظن انك الذى ستتولى تقديمى الى المحكمة . لكننى أقول انه لا لزوم للمحاكمة .. اننى سأعترف بكل شىء .. لأنه عندما تصرعنى امرأة ، فقد حان الوقت لكى اعتزل (المهنة) ..

فقال الشريف ادوارد كارسون :

ــ ان ما اريد أن أعرفه هو كيف أمكنك الافلات طوال هذه المدة .. كيف كنت تنجح فى الاختفاء بعـــد سرقاتك الكثيرة ؟!..

وبدلا من أن يجيب السجين ، فقـــد رفع يديه الى راسه وجذب شيئا .. فارتفعت كتلة الشعر الأشيب التى لم تكن سوى باروكة .. وبدأ لنا راسه أصلع كبيضة ، فيما عدا حافة شعر ضئيلة فوق أذنيه .. وقد طوح بالباروكة الى مكتب الشريف ثم دس يده فى جيبه الداخلى وأخرج شيئا ركبه فى فمه .. وابتسم ابتسامة عريضة .. وفى هذه المرة بدت اســـنانه الأمامية كاملة .. وبدأ شكله مختلفا تماما .. ومعهودا ايضا .. ثم أومأ برأسه قائلا :

ــ أنتم كلكم تعرفوننى بالتأكيد .. اننى كنت أعمل طباخا فى بوفيه المحكمة فى الميدان ..

وأردف وهو يضحك :
ـ كنت دائما أقلى لك أيها الشريف أنت ومستر جيتس اللحوم عندما كنتم تحضرون لتناول الغداء ..
لم يتمالك كارسون أن زفر متألما ..
ولم يتمالك مساعداه أن أطلقا ضحكة رنانة ، وقال أحدهما بوك بولينز :
ـ انتظروا حتى تتوصل الجريدة الى هذا الخبر .. سوف تكون أنباء مثيرة !..
والواقع اننى ارتعدت بدورى ، فان محرر جريدة هيرالد جازيت المحلية كان أبعد عن المودة للشريف ولى .. ولم أطق أن اتصور ما الذى سيفعله بنا حين تبلغ هذه الأخبار مسامعه ! ..
ومهما يكن فقد استغرقنا فترة أخرى فى استجواب روى فالك الذى بادر بالاعتراف بجرمه ، وأضاف اليه عدة حوادث سطو أخرى قام بها فى المقاطعة المجاورة لم نكن نعرف عنها شيئا ..
وأخيرا رفع الشريف يديه قائلا :
ـ خذه يا بوك الى السجن .. وفى الصباح نستأنف التحقيق ..
وخرج فالك بصحبة مساعد الشريف بعد أن حيانا بايماءة ودية من رأسه ..
ونظرت الى ساعتى ، واذ وجدتها قبل التاسعة بربع ساعة خطر لى أن أصحب زوجتى الى مشرب قريب ، فنهضت وأنا أقول :
ـ ان هذا المجرم له أعصاب من فولاذ .. تصور انه يعمل فى المطعم القريب الذى لا يبعد عنا مائة ياردة !..

فقال الشريف بابتسامة مغتصبة :

ـــ نعم .. هذه ضربة لنا .. لا بأس .. الى اللقاء صباح الغـــد ..

وفى هذه اللحظة سمعنا وقع أقدام تجرى فى الممشى ، واندفع بوك مولنز الى داخل المكتب وهو يدلك جانب رقبته ، وقال هادرا :

ـــ أيها الشريف .. ان ذلك المجرب هرب منى !..

خيل الى لحظة ان مساعد الشريف يمزح .. وما لبث ان أمال رأسه .. فرأيت علامة محتقنة على رقبته أسفل أذنه اليمنى مباشرة ، وكانت الدموع تترقرق فى عينيه .. والأنكى من هذا ان جراب المسدس المدلى من حزامه كان فارغا ..

وثب كارسون على قدميه قائلا :

ـــ ماذا جرى ؟..

فأجاب مولينز وهو يبتلع ريقه بين الكلمات :

ـــ كنا نعبر موقف السيارات الى السجن .. وفى منتصف المسافة أشـــار الى الشـــارع وقال لى : « من هذا ؟ » .. فـــ .. فنظرت الى الجهة التى يشير اليها .. ولم اشعر بنفسى الا وأنا ممدد على ظهرى .. انه لطمنى بالقيد الحديدى .. واختطف مسدسى .. وهرب ..

فقلت :

ـــ فى اى اتجاه ؟..

هز مولينز رأسه فى تعاسه بالغة وأجاب :

ـــ لا أعرف .. كنت أشـــعر وقتهـــا كأنما أصبت بشلل .. سمعته يجرى ، لكننى لم أعرف فى أى اتجاه .

راح كارســـون يصب سلسلة من اللعنـــات ، وفى ختامها قال :

ــ غلطتي.. جلست مكانى هنا وتركته يستغفلنى .

فقلت له :

ــ انه استغفلنا كلنا .. لكن لم تمض أكثر من دقائق منذ أن خرج به بوك من هنا .. لا يمكن أن يكون قـــد تمكن من الابتعاد ..

وبينما انهمك كارسون فى اخطار بوليس مدينة مونرو بهرب اللص ، فتح افيرى مساعد الشريف دولاب السلاح وسلم بندقية لزميله بوك موليتز وأخرى لى ..

وعلى اثر ذلك خرجنا نحن الأربعة من دار المحكمة الى الميدان الذى كان يقطعه موقف للسيارات ويقوم السجن فى نهايته .. وقال كارسون :

ــ تذكروا انه تسلح بمسدس ..

وتفرقنا .. فاتجه كل منا الى ركن من اركان الميدان المربع ..

كانت الليلة مظلمة كثيفة السحب تنذر بالعاصفة ، وكانت الأشجار المتناثرة فى أرجاء الميدان تهتز بعنف .. وعندما وصلت الى ركن الميـــدان .. كنت غارقا فى العرق ، وشـــعرت بألم فى أصـــابعى المطبقـــة على البندقية القصيـرة .. وبدا لى أن روى فالك قد استحال من مجرد لص أصلع مغمور الى شيطان مارد ..

وتوقفت عند الناصية حيث تفرعت عدة شوارع ازدحمت بالسيارات فى أمسية السبت وتلألأت الأنوار فى المتاجر المفتوحة عند الجانب الابعد .. وأسندت

بندقيتى الى شجرة ، وأشعلت سيجارة شعرت اننى بحاجة اليهـا ..

وفى هذه اللحظة مرقت سيارة تابعة لبوليس المدينة ، ثم توقفت وتراجعت الى ناحيتى وسطع ضوؤها الكشاف على وجهى .. وانبعث صوت من داخلها يقول :

ــ هذا وكيل النيابة .. هل رأيته يا مستر جيتس؟.

فهززت رأسى .. فقال المتكلم :

ــ لا بأس .. لا يمكن أن يبتعد .. خصوصا والقيد الحديدى يعوق حركته ..

وافقت على رأيه .. ومضت السيارة فى طريقها .. نعم ان روى فالك مقيد اليدين ، لكن القيد لا يمكن أن يسلبه القدرة على اطلاق المسدس .. ورحت أرجو فى سرى أن نتمكن من اعادة القبض عليه قبل أن يطلق النار على أى شخص .. خصوصا أذا تصادف ان كنت أنا هذا الشخص !..

واستعدت البندقية وسلكت طريقى عبر موقف السيارات عائدا الى دار المحكمة .. وكان مكتب الشريف خاليا عندما وصلت ، ولكن كارسون وصل بعد قليل .. ولم يكن الحظ حليفه مثلى أيضا .. وكان مساعداه لا يزالان يفتشان فيما حول الميدان ..

واتصل كارسون بالتليفون .. فلم يخبرنا بوليس المدينة عن اى نجاح فى اعتقال اللص الهارب ..

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة .. ومعنى هذا أن روى فالك بقى طليقا نحو ربع ساعة .. وكان لابد أن يقبض عليه ، والا فكيف يتأتى له أن يتقدم الى قلب البلدة المزدحمة والقيد فى يديه ! ..

كانت هذه هى تعزيتنا الوحيدة .. ان فالك لم ينتزع

مفتـــاح القيد من مولينز عنـــدما ضربه واختطف منه المسدس .. فقد كان المفتـــاح فى شريط قبعتـــه من الداخـــل !..

ودق التليفون .. فاختطف كارسون السـمـــاعة .. وسرعان ما استحالت علائم اللهفة فى وجهه الى غضب وهو يقول بحدة :

ــ لا .. لا بيانات عنـــدى أقولها .. لا بيـــانات بالمرة .. ماذا ؟.. لك حق .. أنا متأكد انك ســـتجد ما تنشره .. هذه عادتك دائما ..

ووضع السماعة بعنف .. فقلت :

ــ والتون محرر الجريدة ؟..

فأومأ قائلا :

ــ طبعا .. انه يكاد يطير من الفرح والشماتة !..

فقلت له :

ــ على الاقل لن يمكنه تشريحنا بقلمه اللاذع حتى صباح الاثنين .. ان الجريدة لا تصدر يوم الأحد ..

فابتسم كارسون بمرارة قائلا :

ــ نسيت أن والتون يملك الآن محطة الاذاعـــة المحلية .. ولك أن تتأكد انه سوف يذيع الوقائع كل دقيقـــة !..

بدا لى أن الامور ساءت الى أقصى حد .. وزاد الموقف سوءا عندما تعاقبت الدقائق وجاوزت الساعة التاسعة والنصف دون جديد .. وفى خلال ذلك اتصلت بى زوجتى وقالت انها سمعت الأخبار فى الراديو .. فوعدتها الا أقدم على الانتحار قبل ابلاغها مقدما ..

وتوالت مكالمات تليفونية أخرى .. لكن كانت نتيجتها واحدة .. أن روى فالك قد تمكن من الافلات والاختفاء

مرة اخرى .. ولم يكن ثمة أى اثر يرشـــد الى أين ولا كيف اختفى ، ولا ما يمكن أن يحـدث منـــه من المفاجآت ..

قلت للشريف :

ــ لابد انه وجد سيارة بها المفتاح فى أحد الشوارع المحيطة بالميدان ، فركبها وهرب بها .. وربما لا تمضى فترة الا ونسمع مكالمة من مواطن يبلغ عن اختفـــاء ســـيارته ..

أومأ كارسون مؤمنا على كلامى وهو شارد الفكر ، وقال :

ــ أظن .. لكن صدقنى ، مع وجود هذا الشقى المراوغ ، فلا حدود لـــ ..

وأمسك عن اتمام كلامه لدى دخول مساعديه ... وقد بدا بوك موليتز وكأنما يوشك أن يفرغ معـــدته ، وكان لا يزال يدلك الكدمة المنتفخة التى أصيب بها فى رقبته بينما قال زميله افيرى باعياء :

ــ لا اثر له .. لابد انه تبخر فى الهواء !..

فقلت له :

ــ الى هنا ويمكننى أن أصدقك !..

ودق التليفون من جديد .. فتناول كارسون السماعة وأنصت ، ثم قال بحدة :

ــ سوف نحضر حالا ..

ووضع السماعة وهو ينهض قائما .. فحدقت اليه قائلا :

ــ ماذا الآن ؟..

فأجاب (الشريف) بلهجة مستطيرة :

ــ حدث ما كنا نخشاه .. قتل هاربر فى متجره ..

كانت المسافة تستغرق ربع ساعة بالسيارة من دار المحكمة الى محل هاربر فى الطرف الغربى لبلدة مونرو .. وقد قطعناها فى ثمانى دقائق ..

وكانت سيلينا هاربر واقفة قرب مدخل المحل مستندة الى (فترينة) معلبات .. عندما اندفعنا الى الداخل أدارت رأسها الى ناحيتنا وهى تطرف بعينيها غائبة الذهن وقالت :

ــ ان ذلك الرجل .. عاد الى هنا ..

وكان جيز هاربر ممددا على وجهه على الأرض بين منصتين مكدستين بالمعلبات وهو غارق فى بركة من الدماء .. وقد أسرع اليه كارسون وركع بجانبه ورفع رأسه .. وما لبث أن نهض قائلا :

ــ قتل برصاصة نفذت الى جبينه .. لفظ أنفاسه قبل أن يصل الى الأرض ..

وتبعتنا المرأة .. ورددت كلامها قائلة :

ــ لقد عاد .. وكنت أنا وجيز نستعد لاغلاق المحل ..

ابعدنا المرأة المشدوهة عن مكان الجثة ، وأجلسناها على مقعد خشبى وجدته فى الداخل .. وبدأنا نستفهم منها عما حدث بينما كان مساعدا كارسون يقومان بتفتيش المتجر وما حوله ..

راحت المرأة تقول وهى تحدق فى يديها المعروقتين المطبقتين فى حجرها :

ــ ذهب جيز الى الباب الامامى لكى يغلق المحل .. وكنا مشغولين جدا كما هى العادة فى مساء أيام السبت .. ولكننا سمعنا فى الراديو خبر هروب المجرم ، ولهذا قرر جيز اغلاق المحل مبكرا عن

الموعد .. وفجأة رأيناه أمامنا : شاهرا مسدسه فى وجه جيز ! وأجبره على التراجع الى الداخل .. وعندما وصل جيز الى المكان الذى هو فيه الآن . دس المجرم المسدس فى وجهه وأطلقه .. وسمعته يقول كلاما مثل : « أنت كثير الثرثرة .. هذه المرة سآخذ نقودك بالتأكيد » .. ثم .. ثم أطلق النار على جيـــز ..

ولمـــا لاحظت كدما فى فك المرأة سألتها :

ــ هل أصابك بشىء ؟ ..

فطرفت نحوى بعينيها من خلال النظارة ، قائلة :

ــ أنا ! .. آه .. تقصد هذا ؟ ..

ولمست الكدم ، ثم هزت رأسها قائلة :

ــ لا .. ان المجرم دفعنى من طريقه بعد ان أطلق النار على جيز .. فاصطدمت بالفترينة التى هناك ، قرب الخزانة ..

فقال لها كارسون برقة :

ــ وما الذى حدث بعد ذلك ؟ ..

ــ فتح المجرم الخزانة وأخـــذ ما بها من أوراق النقود .. لابد أن المبلغ كان يقرب من مائتى دولار .. وقد وضـــعها فى جيبه وخرج بظهره الى الباب .. وكان مسدسه طول الوقت مصوبا نحوى .. أنا .. أنـــا ..

ودست وجهها بين يديها .. وأخذ كتفاها النحيلان يهتزان .. فنظرت الى كارســـون من فوق رأسها المنكس .. لكنه ابتعد الى حيث كان افيرى يتكلم فى التليفون لاستدعاء قاضى التحقيق فى مونرو ..

قلت للمرأة :

ـ مسز هاربر .. حاولى أن تتشـــددى .. هل كانت معه سيارة ! ..

فأومأت ايجابا دون أن ترفع رأسها ، قائلة :

ـ سمعته يقود سيارة مبتعدا ، بعد انتهاء العملية .. وقد اتجه الى ناحية الغرب ، بكل سرعة ..

ـ هل أنت متأكدة أنه نفس المجرم ! .. روى فالك ؟ ..

فأومأت برأسها مرة ثانية ، قائلة :

ـ كان هو بالطبع .. اننى عرفته بمجرد دخوله .. لماذا كان لابد له من قتل جيز ؟ .. ربما كان جيز كثير الكلام ، وربما كان يحب المكسب .. لكن لم يكن فى هذا أى ضرر ..

فأخذت أربت على كتفها مواســيا ، عندما رجع كارسون وقد بدت فى ملامحه امارات العزم والصرامة .. وقال لى :

ـ سوف يصل الطبيب بأسرع وقت ..

ووقف يتفرس فى المرأة المحطمة الباكية ، وتنهد وبعد دقائق وصل الدكتور جونســـون فى سيارة اسعاف .. وتولى فحص الجثة .. وبعدها انتحى بى جانبا أنا والشريف ، وقال :

ـ أصيب بعيارين .. عيـــار فى رقبته ، وعيار فى رأســـه .. ومعظم الدم نزف من جرح الرقبة ، لكن الجرح الآخر هو الذى قضى عليه .. ولا تزال الرصاصتان فى رأسه ، وســـوف استخرجهما عند تشريح الجثة ..

ووقف الطبيب جانبـــا ليشرف على قيـــام رجال الاسعاف بنقل الجثة على محفة الى السيارة ..

ويبدو أن مسز هاربر لم تشعر بهذا ، فانها لم ترفع راسها الا عند سماع (سرينة) سيارة الاسعاف وهى تشق هدوء الليل عائدة الى البلدة ..

وعندئذ نهضت متحاملة على نفسها .. وأخذت تخطو بحركات الانسان الآلى بين الرفوف والفترينات تسوى هذا وترتب ذاك ، وهى صورة مؤثرة للذهول .. ولما أردت أن أذهب اليها وضع كارسون يده على ذراعى قائلا :

ــ لا يمكنك أن تفيدها الآن بشىء ..

وعندما تهيأنا للانصراف رفضت مسز هاربر أول الأمر أن تذهب معنا ، مرددة بلهجة رتيبة ان هذا مقرها وانها تنوى ملازمته ..

لكن كارسون أصر قائلا :

ــ لا اريد أن أخيفك يا مسز هاربر .. لكن قاتلك قد يعود الى هنا مرة أخرى .. انت الشاهدة الوحيدة على قتله لزوجك .. هل فهمت ؟.. الآن تعالى معنا ..

فاتسعت عيناها المحمرتان وقالت بصوت أجش :

ــ أنني لم أفكر فى هذا .. حسن أيها الشريف ..

كانت العودة الى البلدة والى دار المحكمة مشمولة بالصمت فى أكثرها .. وفى مكتب الشريف أجلس كارسون المرأة فى مقعد مريح وأمر لها بكوب ماء .. وكنت لا ازال اتوقع أن تنهار هذه المرأة بين لحظة وأخرى من أثر الصدمة .. لكن لم يحدث هذا .. والظاهر انها كانت أشد جلدا مما ظننت ..

وأخذت الأنباء تتوارد تباعا .. فان الولاية بأسرها

كانت قائمة على قدم وساق بحثا عن روى فالك ، ومع ذلك لم يعثر له حتى الآن على أقل أثر ..

واستأنفنا سؤال مسز هاربر بعض الوقت .. والواقع انني بدأت بعد فترة أعتقد ان كارسون يمضى فى أسئلته بغير موجب ، خصوصا بالحاح الذى كان يبديه ..

الى أن شعرت فجأة ان بعض الانطباعات المتفرقة التى كانت تحوم فى راسى قد بدأت تترابط فجأة .. ولم أتمالك أن شهقت عندما تجلت لى الحقيقة .. لكن التحقيق كان فى يد الشريف ، ولهذا أبقيت فمى مطبقا ..

راح كارسون يقول لهـا :

ــ أريد أن أعرف الموقف تماما كما حدث .. دخل فالك الى المحل حوالى الساعة العاشرة الا الربع .. وكان القيد الحديدى لا يزال فى يديه .. وكان ممسكا بالمسدس بيديه معا .. حسن .. وبعد ذلك ؟..

وهنا قالت مسز هاربر بحدة :

ــ مستر كارسون .. انا متعبة جدا .. أريد أن أذهب الى الفندق وأرقد .. أنا محتاجة الى النوم لكى أفكر بعد ذلك فيما أفعل ، بعد أن أصبحت وحيدة فى هذه الدنيـا ..

فقال الشريف مواسيا :

ــ بالطبع .. دقيقة واحدة لا أكثر .. هناك نقطة واحدة فقط أريد أن أتأكد منها .. أريد أن أعرف لماذا قتلت زوجك بالرصاص يا مسز هاربر ؟..

مضت لحظات طويلة وهى تحدق لا أكثر .. وأخيرا راح كارسون يقول بصوت أقرب الى الرقة :

ــ لا يا سيدتى .. لا فائدة من الانكار .. أول كل

شىء لقد فضحت نفسك عندما قلت لنا انك عرفت روى فالك فى الحال ، وانه كان يجلس على نفس الصورة التى رأيته بها فى مكتبى هنا .. لكنه لم يكن كذلك يا مسز هاربر .. لم يكن كذلك بالمرة .. ان من رأيته هنا كان رجلا له شعر أبيض كثيف وأسنانه الأمامية ناقصة .. وهذا الشعر موجود على مكتبى هناك . كما ترين .. ان فالك أصلع الرأس بطبيعته ، وعندما هرب من هنا كانت أسنانه الصناعية موضوعة فى فمه من الأمام .. ولم يكن هناك سبب يدعوه لنزعها بعد هروبه ..

حاولت المرأة ان تقف .. ثم لم تلبث أن تهالكت عائدة الى المقعد .. واخذت عيناها الباهتتان تدوران من جانب الى جانب وهى متلعثمة :

ــ انت مجنون !.. مجنون !..

فتابع كارسون كلامه وكأنها لم تتكلم :

ــ وثانيا : ادعيت يا مسز هاربر ان هذا المجرم دس المسدس فى وجه زوجك وأطلقه .. لكن روى فالك خطف من مساعدى مسدسا من عيار ٤٥ .. والمسدس عيار ٤٥ اذا أطلق من مسافة قصيرة ، فان رصاصة منه كانت كفيلة تمزيق رأس زوجك كليا .. لا .. لا .. كلامك لا يفيد ..

خيم الصمت .. ثم لم تلبث سالينا هاربر أن زفرت من أعماقها ، وهزت كتفيها قائلة بلهجة شفت عن السخط والصرامة :

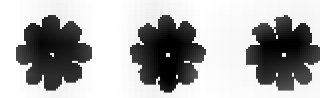
ــ لا بأس .. لا بأس .. ان جيز كان يستحق هذا منذ مدة .. انه كان يسوقنى كما يسوق الكلب ..

وكان يعاملنى أشنع معاملة ، وهذا هو سبب الكدم الموجود على فكى ، بعد أن لطمنى بشدة هذه الليلة .. والسبب هو اننى اردت أن نغلق المحل مبكرا ولو مرة واحدة .. لكن لا .. ليس جيز هو الذي يفعل هذا .. خصوصا اذا كانت أمامه فرصة لكسب دولارات أخرى ، بفتح المحل ..

وجاء مساعدا الشريف ووقفا معنا حول المرأة التى جلست مشدودة القامة تصب أحقادها ، قائلة :

ــ وبعد ذلك سمعنا فى الراديو هروب ذلك اللص منكم .. وفى الحال فكرت فيما يجب أن أفعل .. وكان عندنا بندقية قديمة نحفظها فى داخل المحل .. وأنا لا أعرف شيئا عن البنادق .. لكننى عرفت ما يكفى لتسديد البندقية وجذب الزناد ..

كانت لهـــا اقوال أخرى .. لكن معظمها كان من قبيل التكرار .. فبعد أن قتلت زوجها أخفت البندقية والمبلغ الموجود فى الخزانة فى شجرة مجوفة فى حقـــل خلف المتجر ، قبل الاتصال بنـــا ..



وقفنا حولها ننظر اليها ..

امرأة معروقة عجفاء ظلت ترفع نظارتها كلما انزلقت فوق أنفها الضئيل ..

واخيرا قال كارسون :

ــ حسن .. ان هذا يبرىء روى فالك ، فيما يختص بجريمة القتل ..

ــ هذا أعظم خبر سمعته هذه الليلة !.

صـــدر الصـــوت من متكلم لدى باب الممشى ..

فاستدرنا جميعا ، واذا بروى فالك واقفا أمامنا ، ويداه المغلولتان بالقيد الحديدى مدلاتان أمامه ، وصلعته تلمع فى أضواء السقف . .

زمجر الشريف قائلا :

ـــ لعنة الله على . . ان فهمت شيئا ! . .

فضحك فالك قائلا :

ـــ اننى فكرت فى موقفى . . لم أجد مكانا أهرب اليه . . ولو وجدت المكان فلن أجد ما أعمل . .

وهتفت بدورى :

ـــ لكن أين كنت بحق الشيطان ؟ . .

فدخل فالك الى المكتب ، وأجاب قائلا :

ـــ اقدح زناد القريحة يا مستر جيتس . . ليس هذا لغزا . . اننى ما كدت أتخلص من حارسى هذا حتى عدت فى الحال الى داخل المحكمة وصعدت الى الدور الثالث . . ولبثت فى غرفة الرجال منذ ذلك الوقت . . سوف تجد مسدسك هناك يا مستر بوك مولينز . .

رحنا نحملق فى الرجل الضئيل . . والحق يقال انه كان أكثرنا هدوءا وسكينة فى مكتب الشريف . .

سـفاح الجـوارب

حينما عرفت أن زوج أختى سوف يتغيب عن المدينة اسبوعا كاملا ، تملكنى انزعاج شـديد لبقاء أختى وحدها سبع ليال سويا ، ، فى الوقت الذى يوجد فيه سفاح مختل العقل يسرح ويمرح طليقا فى كل مكان . .

كنت وقتها اتناول العشاء مساء الأحد فى بيتهمـا ، عندما قال لايل عرضا انه سوف يطير الى شيكاغو صباح الغد . . فسألته :

ـ والى متى ؟ . .

ـ سوف أعود يوم الاثنين القادم . .

ـ سبعة ايام ؟! . .

قلت هذا بصوت عال حتى لقد ازعجت الطفل تود فسقطت منه ملعقة البطاطس المعجون بالزبد فى صحفة طعامه على مقعده الخاص المرتفع . .

ـ هل تترك مارتا وحـدها فى البيت سـبعة أيام كاملة ؟! . .

والحقيقة اننى ندمت لرفع صوتى . . اننى كنت أود لايل ، لكنه كان حساسا الى حد يدعو الى ان يتكلم المرء معه بحذر . . وطالما رأيته ينسحب من المناقشة فجأة لدى أقل تعريض أو مساس به ، ويجلس صامتا دون كلمة واحدة ساعات كاملة . .

وكانت مارتا تحس هكذا أيضا ، فبانها صوبت اليه نظرة قلق واشفاق ، ولكنه هذه المرة بدا غير متأثر . .

ولما اطمأنت مارتا قالت مداعبة :

ـ سوف يكون تود بجانبي لكي يحميني ..

يا لها من حماية !.. كان ابن أختي واسمه مثل اسمي لا يجاوز السنتين والنصف !..

وقال الطفل الذي كان مقعده العالي بيني وبين اختي :

ـ لماذا يتكلم خالي بصوت مرتفع ؟..

فقالت له أمه :

ـ لأن خياله واسع !.. كل البطاطس يا حبيبي ..

ومع ذلك لم تكن مخاوفي من وحي الخيال .. فان السفاح المعروف باسم (الخانق بالجوارب) قتل حتى الآن ست نساء ، كتم انفاسهن بجواربهن ، حتى لقد انتقلت عدواه الى مخبولين آخرين قاما بتقليده ! وقتل كل منهما ضحية في مدينتي كانساس سيتي وشيكاغو .. وكانت النساء الست في مدينتنا سانت لويس كلهن شابات جميلات متزوجات ، وكن وحيدات في بيوتهن عند قتلهن .. وفي حالتين كان الزوج متغيبا عن المدينة . أما في الحالات الاربع الأخرى فكان الأزواج ساهرين خارج البيوت ..

وكان أسلوب الجريمة واحدا في كل حالة .. فقد كان القاتل يدخل الى البيت بعد أن تكون الضحية قد نامت . وكان يفتش في المنزل حتى يعثر على زوج جوارب تكون الضحية قد لبسته حديثا ولكنها لم تغسله بعد ، ثم يخنقها بجورب ويأخذ الجورب الثاني معه ..

ولم يثبت وقوع اعتداء جنسي على الضحايا ، ولم يعثر على أي بصمات ، مما حمل البوليس على الاعتقاد بأن القاتل كان يلبس قفازا .. وكان الأثر الوحيد هو

وجود شاهدة أبصرت الرجل الذى يرجح أنه القاتل ، عقب انصرافه من بيت احدى الضحايا ..

ومن سوء الحظ أن هذه الشاهدة أبصرت ظهره فقط فى ضوء القمر .. فقد كانت الضحية تقيم مع زوجها فى الدور الأرضى فى بيت مكون من طابقين ، وكانت الشاهدة تقيم فى الدور الأعلى .. وحدث أن نزلت الشاهدة عند الساعة الثانية والنصف صباحا الى تحت عن طريق السلالم الخلفية لادخال قط لها كان يموء عاليا ، وعندما فتحت الباب الخلفى شاهدت رجلا يختفى عن طريق البوابة الخلفية ، متسللا الى الحارة التى تطل عليها ..

ولم تستطع المرأة أن تذكر للبوليس أى شىء عن أوصافه فيما عدا ملابسه ، اذ قررت انه كان يرتدى السواد من قلنسوته الى قدميه .. وقدرت طوله بما يقرب من ست أقدام سنه ووزنه بحوالى ٢٠٠ رطل ..

وعدت أقول تعقيبا على الحديث :

ــ أنا جاد فى كلامى .. أن احدى هذه الجرائم حدثت على مسافة تقل عن ميل من هنا ..

فقالت مارتا وما زال صوتها يحمل رنة الاستخفاف :

ــ اذا وقع اختيار هذا القاتل على ، فسوف يجد مفاجأة فى انتظاره .. لا تنس اننى تدربت على الجودو ، كممرضة فى الجيش ..

فقلت لها باستياء :

ــ نعم .. حوالى درسين .. وكيف تؤكدين أن القاتل لا يعرف الجودو ، هو أيضا ؟..

فرفعت مارتا ذقنها قائلة :

ــ اننا تدربنا ساعة اسبوعيا لمدة ١٢ اسبوعا .. وبامكانى أن أطوح بك عبر الغرفة أيها الأخ الأكبر ! ..

ـــ ان حالتي الصحية ليست على ما يرام بسبب الطعام الذى أطهيته بيدى .. ان الشاهدة الوحيدة التى أبصرت هذا القاتل وصفت وزنه بما يقرب من وزن لايل ، فى حين ان وزنك لايزيد عن مائة رطل .. فقال لايل :

ـــ وزنها ٩٩ .. لكنها سوف توصد الأبواب بعد الظلام .. وقد أكدت عليها ألا تفتح الباب لأى أحد ، الا بعد أن تتأكد من شخصيته ..

فانحنيت الى الأمام للتأكيد على كلامى ، قائلا :

ـــ اسمع يا لايل .. انني تابعت هذه القصة منذ وقوع الجريمة الأولى ، وأعرف عنها تفاصيل لا يعرفها الرأى العام .. ان البوليس طلب من الصحافة أن تخفف من النشر ، خشية اثارة ذعر الجمهور ، ولكنهم توصلوا بعد فحص أقفال الأبواب فى عدد من هذه الحوادث فى المعمل الجنائى ـــ الى أن القاتل خبير فى استعمال فاتحة أقفال ..

تطلعت مارتا الى زوجها .. فقطب لايل قائلا :

ـــ ربما يجب وضع مزاليج على الأبواب .. لكن لابد لى من اللحاق بأول طائرة صباح الغد .. فهل يسمح وقتك يا تود باحضار بعض المزاليج غدا وتركيبها ؟..

ـــ بامكانى تدبير وقتى ، لكن هذا لا يوفر الحماية الكافية .. ففى احدى هذه الحوادث ، وكانت الضحية قد أغلقت أبوابها بالمزاليج ، استخدم القاتل قاطعة زجاج أحدث بها فتحة صغيرة فى زجاج النافذة قرب السقاطة .. ما هى ضرورة هذه الرحلة التى ستقوم بها يا لايل ؟..

ـــ انها مهمة كلفتنى بها الشركة لحضور اجتماع

خبراء الأجهزة الألكترونية . وسوف نعرض فيه أحدث المنتجـــات ..

كان لايل يعمل مندوب توريد فى شركة لبيع الاجهزة الألكترونية ، وهو عمل كان يبعده عن المدينة بصـــورة دورية . لكن غيابه عادة لم يكن يتجاوز يوما أو يومين . كمـــا كان يضاعف دخله بالعمـــل فى اصـــلاح أجهزة التليفزيون فى الفترات المسائية . وقد درس هذه العملية بالمراسلة بعد تسريحه من الخدمة العسكرية ..

قلت بلهجة حاسمة :

ــ اذن فسوف أحضر للاقامة هنا مع مارتا وتود فى فترة غيابك ..

فهز لايل كتفيه قائلا :

ــ لا مانع عندى اذا قبلت الاقامة فى الغرفة الصغيرة ذات السرير السفرى ..

فقلت له :

ــ ان الصحفيين مثلى يمكنهم النوم فى أى مكان ...

فقالت مارتا :

ــ ان وجودك معنا سوف يشعرنى بالطمانينة ... اليس كذلك يالايل ؟ ...

فتطلع اليها لايل بافتتان قائلا :

ــ وأنا موافق يا حبيبتى ...

كانت قصة غرام لايل ومارتا مثار الدهشة دائما ... فان اختى لم تكن بالجميلة ... كانت فتاة عادية . بادية النحول ، مدببة الانف مثلى ، ولكنها كانت غاية فى دماثة الخلق وحسن الادراك . وربما كان هذا هو ما جعل لايل يفتتن بها ...

أما لايل بارتون فكان شــابا فارع العود قــوى العضلات بادى الوسامة أشقر الشعر ، وكان أكثر شبها بتماثيل آلهة الاساطير عند الاغريق ، وكانت له جاذبية خاصة تشد اليه النساء والرجال على السواء ، برغم ما كان ينتابه أحيانا من انطواء على نفسه وافراط فى الحساسية . . .

كانت مارتا تعمل ممرضة فى مستشفى الامراض النفسية العسكرى فى (فورت أورد) عندما نقل الجندى لايل بارتون الى المستشفى عائدا من فيتنام مصــابا بانهيار عصبى . . .

وكان تمريضه من نصيب مارتا . . . وقد سهرت على حالته حتى تعلق بها وكاشفها بحبه . . . وبادلته مارتا الحب ، بل كانت هى أكثر تعلقا وافتتانا به . . . ولم يمض شهر على شفائه وخروجه من المستشفى حتى تم زواجهما . . .

وكان لايل قد أتم تعليمه الثانوى فقط ، ولو أراد الالتحاق بالتعليم العالى لوجد الظروف المادية ميسرة له باعتباره من المحاربين القدماء . . . ولكنه انصرف الى اشــباع هوايته فى دراسة الالكترونيات ، حتى التحق بالشركة التى يعمل فيها الآن ، مستغلا وقت فراغه فى اصلاح التليفزيونات بالمنازل لمن يطلبه . . .

وفى خلال ذلك استقالت مارتا من أعمال التمريض ، بعد أن أصبحت حاملا ، وانتقلا للاقامة فى مدينة سانت لويس بعد أن رقى لايل مرتين ، واستطاع شراء بيت صغير فى شارع (بيلريف) فى المنطقة الجنوبية من المدينة . . .

وكان لايل لا يزال متأثرا من حالته النفسية التى

كانت تتجلى فى شدة حساسيته وفى نوبات الانقباض التى كانت تتملكه وتدفعه الى الانطواء على نفسه أحيانا ، ولكنها لم تكن بالحالة الخطيرة ... كانت تكفى لتبرير حصوله على التعويض الجزئى عن اصابات الحرب بعد الكشف عليه سنويا فى مستشفى جيفرسون العسكرى ... وفيما عدا ذلك كانت حياة الزوجين خالية من المشاكل ، وظلت مارتا مفتونة بحب لايل بعد انجابهما الطفل تود ، كما كانت عندما تكاشفا بالحب لأول مرة ...

لقد تجلى لى هذا من حديث دار بينى وبين مارتا ليلا ، وكنا وحدنا فى البيت بعد أن نام تود ....

جلسنا نشرب ... وقد حل الشراب عقدة لسانها ، حتى انها حكت لى أشياء عن علاقتها بلايل لم تقلها لى من قبل ...

كنت اتساءل فى معرض الحديث عما اذا كان لايل لا يزال يعانى من آثار الاضطرابات النفسية الماضية ... فصمتت فترة طويلة قبل أن تجيب قائلة :

ــ الحقيقة أن المسألة ليست بهذه السهولة كما تتصور ...

فاعتدلت فى جلستى وحدقت فيها قائلا :

ــ أنا أعرف أنه عانى الاهوال فى فيتنام ، لكننى كنت أظن أنه شفى مع الوقت من آثار الانهيار العصبى ...

ــ هذا ما يحدث لكثيرين ، حين لا تكون هناك أمراض نفسانية متأصلة ... لكن مشكلة لايل هى أكثر من مجرد صدمات الحرب ...

ــ كذا ؟ ...

ــ اننى اشرفت على تمريضــــه فى المســـــتشفى العسكرى ، فأنا على علم بتاريخه الطبى كاملا ... ان له مشكلة عاطفية حادة لازمته قبل انخراطه فى الجيش ... والواقع انه امضى ســـنة فى مستشفى الامراض العقلية بولاية ويسكونسن موطنه الاصلى ...
فحدقت اليها قائلا :

ــ وماذا كان تشخيص المرض ؟ ...
ــ انفصام الشخصية ... (شيزوفرانيا) خفيفة .
فقلت وأنا لا أصدق :

ــ شيزوفرانيا ؟ ... وكيف انخرط فى الجيش بهذه الحالة ؟ ...

ــ انه أهمل ذكر الحالة ... ولم يكتشفها الجيش الا بعد ان أعيـــد الى الولايات المتحدة ... وبموجب القوانين العسكرية كان يجب فصله من الجيش لعدم الصلاحية العقلية للخدمة ... ولكن نظرا لبطولته فى المعارك وفوزه بأكثر من وسام ، فانهم يتجاوزون هناك عن الاخطاء الصغرى للابطال .. وهكذا سرحوه فى النهاية محتفظا بالتكريم ...

فقلت لأختى :
ــ لكن الشيزوفرانيا ! ... أليس معنى هذا أنه انسان خطر ؟ ...
فقالت مارتا وهى تنظر الى مقطبة :

ــ لا بالطبع ... ان حالات الشيزوفرانيا الحادة يمكن أن تكون خطرة ، ولكننى قلت لك انهم شخصوها باعتبـــارها شيزوفرانيا خفيفة .. وربمـــا تعـــرف أشخاصا كثيرين تعدهم طبيعيين مع أن بهم نزعات لانفصام الشخصية ... هذه ليست حالة غير معتادة ..

ـــ افرضى ان حالته ساءت ؟ . . .

ـــ هذا غير محتمل . . . وغير محتمل ايضا أن يشفى تماما . . . المسألة هى معايشته ، وهو بهذه الانطوائية المعاودة التى تجعله يعيش أحيانا فى عالم خاص به . . .

تناولت رشفة طويلة من كأسى قبلما قلت لها :

ـــ لا تخطىء فهمى يا مارتا ، فاننى أود لايل . . . لكن كيف اقدمت على الزواج منه ، مع علمك بتشخيص مرضه ؟ . . .

فراحت تحدق الى ، وقالت :

ـــ لاننى أحبه . . .

فقلت لهـــا :

ـــ ليس هذا جوابا . . . هل كنت تتزوجين (جاك السفاح) المعروف لو كنت تحبينه ؟ . . .

ـــ لا وجه للمقارنة بين الحالتين . . .

فقلت متلطفا :

ـــ لا تتضايقى منى . . . اننى لا أحاول أن أنال من مكانة لايل عندك . . . اننى أحاول فقط أن أفهم كيف يتأتى لفتاة مثلك ذات خبرة بالأمراض النفسانية أن تجازف بالزواج من مريض بانفصام الشخصية ! . . .

ـــ ليس مريضا به يا تود . . . بل عنـــده حالة خفيفة . . .

ـــ لا بأس . . . لا باس . . . لكن بالرغم مما قلته عن حالته من أنها لن تسوء ، فكان يجب أن تعرفى قبل اتمام الزواج أن الحالة ممكن أن تزيد سوءا . . . وهذه فى نظرى مخاطرة من جانبك . . .

لم ترد مارتا نحو دقيقة . . . وفى خلالها راحت ترتشف

كأسها مرارا فى غضب صـــامت ... ثم لم تلبث أن انحازت الى الهدوء ، وقالت بابتسامة مستكينة :

ـــ أننى أعرف أنك تقول هذا من قبيل الحرص وأنت على حق ... اننى تدبرت هذه المخاطرة ... لكنه كان يحبنى كما أحبه ...

فرفعت حاجبى قائلا :

ـــ وما دخل هذا فى عنصر المخاطرة ! ...

فاجابت بهزة من كتفيها :

ـــ لا دخل له ... لكن لايل هو الرجل الوحيد الذى أهتم بى ...

وعندما نظرت اليها مقطبا سارعت تقول :

ـــ لا تسىء فهمى ... لم تكن المسألة مجرد حب من جانب فتاة عانس تعلقت باول فرصة سنحت لها ... فاننى لو كنت حتى أجمل جميلات المستشفى العسكرى لوقع اختيارى على لايل ... انه أجمل وافتن وأعجب رجل اتيح لى أن التقى به ...

لم أقل شيئا ... وانما رحت ارتشف كأسى ... فقالت مارتا برقة :

ـــ انك لم تعرف طعم الحب فى حياتك يا تود ... ان احساسى نحو لايل يجعلنى استمر فى حبه حتى لو كان مخبولا مختل العقل ... اننى لا اتردد أن أفعل اى شىء من أجله ...

كان الشراب قد لعب برأسى أيضا ، ولهذا قلت لها بصراحة فجة :

ـــ حتى الى درجة الوقوف أمامه ساكنة لكى تتلقى رصاصة منه اذا قرر قتلك ؟..

راحت تطرف بعينيها .. وبدلا من أن تغضب مرة أخرى انحازت الى الدفاع قائلة :

ــ ليس هذا الكلام عادلا .. ان حالته لن تسوء .. ومع ذلك أقول لك اننى أقف أمامه ساكنة لو انه أقدم على ذلك .

شعرت بقشعريرة تسرى فى جسدى وأنا أتصور فى خيالى مارتا واقفة تنظر بعين المحبة والصفح الى لايل ، وقد قلب الجنون سحنته ، وأخذ يطلق الرصاص عليهما ...

على اننى تمالكت وقلت لها :

وربما كان الأفضل ان نترك هذا الموضوع .. انك تحبينه وأنا أوده ، وكل ما نفعله هو اننا نضايق انفسنا .. هل تريدين كأس الختام ؟ ..

فنظرت الى ساعتها ، وقالت بدهشة :

ــ الأفضل أن نكتفى بما شربنا .. الساعة الآن قرب الحادية عشرة .. ألا تحب أن تستيقظ فى الساعة السادسة ؟ ..

فقلت لها :

ــ انى لا أنام أكثر من ست ساعات .. ان كأسا أخرى لن تؤذى أحدا منا ..

وذهبت الى المطبخ حيث وضعت الكؤوس قرب الحوض واستدرت الى الثلاجة لآخذ مكعبات الثلج ، عندما أسترعى نظرى مشهد عبر الحارة الفاصلة بين منزل أختى وبين المنزل المجاور ..

كانت النافذة القائمة فوق الحوض تطل مباشرة على الجانب الخلفى للبيت المواجه فى الحارة .. ومن خلال نافذة مضاءة فى الدور الثانى بهذا المنزل وقع نظرى

على غرفة نوم ، كان بها فتاة شقراء جميلة أخـذت تخلع ملابسها . .

لم اكن من النوع الذى يحب التلصص على احـوال الجيران . . لكن قوة غلابة جعلتنى أقف مكانى وأراقب .

كانت الفتاة تتمهل فى خلع ملابسها . . فقد علقت الفستان فى شماعة ووضعته فى دولاب . . وبعـد أن خلعت جوربيها اختفت عن نظرى برهة ثم عادت بدون الجوربين ودون مزيد من التجرد . . فتصورت انهـا غسلت الجوربين وعلقتهما فى الحمام لكى يجفا . .

ولم تستغرق عملية خلع باقى الملابس فترة طويلة ، وكانت فى قميص نوم شفاف عندما دخلت مارتا الى المطبخ لترى ما الذى أخرنى هذه المدة . .

وعندما نظرت مارتا ، انفجرت ضاحكة ، بدلا من ان ترتاع لخستى . . وقالت :

— انت أيضا ؟ . . اننى اضبط لايل وهو يتفـرج على هذا المعرض مرة كل اسبوع تقريبا . .

فقلت لهـا :

— الا تخطر لها أن تنزل ستار النافذة ؟ . .

— فقط فى أيام عطلة نهاية الاسبوع عندما يعـود زوجهـا . . انه يعمل ليلا . . وفى تصورى انه هو الذى ينزل الستار . . وقد تحدثت فى الموضوع مع لايل ، ورأينا انها لا تتعمد هذا ، وانما تفعله بدون وعى . . وأعتقد انها ما كانت تتردد فى انزال الستار لو تشككت فى أن هناك من يراقبها . . بالاضافة الى هذا فاننى تبادلت معهـا أحاديث عابرة كما يفعـل الجيران ، فوجدتها متعلقة بزوجها . . وهكذا يبـدو

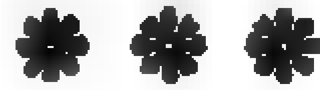
انها لا تقصد الى شيء .. كل ما هناك انها متهاونة فى انزال ستائر النافذة ..

وانطفأ نور غرفة النوم فجأة .. فأخذت فى ملء الكؤوس .. وقلت لمارتا :

ـ الا تتضايقين عندما تشاهدين لايل يراقبها ؟..

فأجابت متفكهة :

ـ ولماذا أتضايق ؟.. انه يختصني انا بحبه ، لا هي ..



فى اليوم التالى قررت أن أعمل برأى لايل وأضع مزاليج على ابواب المنزل ، أماما وخلفا .. وفى طريق عودتي من مهمة صحفية عرجت على متجر أدوات منزلية واشتريت مزلاجين .. وبعد انتهاء عملى فى الجريدة قصدت الى بيت مارتا وكانت الساعة تناهز الخامسة .. فوجدتها جالسة فى مدخل البيت تراقب تود الصغير وهو يلهو مرحا بدراجته ذات العجلات الثلاث على الرصيف المجاور ..

وقلت لمارتا وانا أريها اللفافة :

ـ احتمالا لاستدعائى لمهمة صحفية ليلا ، فانني عملت برأى لايل وأحضرت مزلاجين لتركيبهما .. أين يحتفظ لايل بأدوات الشغل ؟..

ـ فى ورشته الخاصة فى البدروم ..

فدخلت الى غرفتي الصغيرة ، ونزعت سترتى وربطة عنقى ، ونزلت الى البدروم ..

كان فى البــدروم قسم خــاص منفصل جعله لايل ورشة له ، بها منضدة تشغيل وكافة العدد والآلات، بالاضــافة الى محتــويات تليفزيون مفكك كانت فوق المنضدة ، وجهازين آخرين على الأرض ..

اخترت من بين الأدوات مفكا بالحجم الذى أريده . وبدأت أفتح الأدراج للبحث عن مثقاب .. وفى أحــد الأدراج السفلية لم أجد سوى حقيبة جلدية صغيرة وعجلة من الصفيح .. ولمـــا وجدت العلبة مغلقة فتحت الحقيبة الجلدية ..

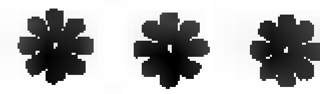
كانت هذه الحقيبة تحتوى على خمسة أشياء .. زردية صغيرة الحجم ، وقاطعة زجاج ، وشــفاطة صغيرة من المطاط ، بها حلقة صغيرة بحجم أصبع اليد، وزوج قفاز أسود ، وأداة صغيرة جدا من الفولاذ تشبه الزمبرك ..

دهشت لوجود الشفاطة المطاط والأداة الشــبيهة بالزنبرك .. فهدانى التفكير الى أن الأخيرة هى فاتحة أقفال .. وبعد تفكير عرفت الغرض من الشــفاطة المطاط .. فاذا ألصقها الانسان بزجاج نافذة وقطع ما حولها بقاطعة زجاج ، فانها تمنع الجزء المقطوع من السقوط الى الداخل والتهشم على الأرض ..

لقد دهشت أول الأمر لوجود مثل هذه الأدوات عند لايل ، وهى فى مجموعها تكون عدة لصوصية .. ولم يتجاوز تفكيرى وقتها هذا الخاطر الطبيعى الذى يعرض لأى انسان ..

ولست أدرى ما الذى دفعنى الى محاولة فتح علبة الصفيح أيضا .. وسواء كان الدافع هو الايحــاء

الذاتي ، أو الشك اللا شعوري ، أو الفضول الصحفي، فانني عالجت القفل حتى فتحته بعد خمس دقائق ..
فلم أجد فى العلبة شيئا غير ثمانية جوارب نايلون .. ثماني (فردات) !..



كانت دلالة هذا الاكتشاف مروعة ..
ولكن بسبب محبتي لزوج أختي فانني سارعت بالتماس تفسير آخر أقل ترويعا لوجود هذا المخبأ السري ..
وفى نفس اللحظة وثب الى ذهني خاطر آخر يجعل الاشتباه فى أن لايل هو السفاح (الخانق بالجوارب) فكرة بعيدة الاحتمال .. فطبقا لما قالته مارتا كان لايل يراقب جارتهم الشقراء التى تقيم خلفهم وهى تخلع ملابسها .. وكانت جميلة مثل باقى ضحايا سفاح الجوارب ، وكان لايل يعرف أن زوجها يشتغل ليلا .. فاذا كان لايل هو السفاح ، فلماذا لم تكن هذه الشقراء ضحية من ضحاياه ؟..

لم يلبث الرد الكئيب على هذا السؤال أن جاءنى فى مثل لمح البصر .. فان المجانين ليسوا بالضرورة أغبياء .. والشقراء كانت جارة قريبة جدا منهم بحيث لا تؤمن عواقب المجازفة ..

وعدت أجهد ذهني للتفكير فى سبب آخر يدعو أى انسان للاحتفاظ بمخبأ سرى لجوارب النساء ..

لم أهتد الى أى سبب ، خاصة بعد فحص الجوارب بدقة .. كانت أربع (فردات) منها على الأقل غير متشابهة .. فواحدة كانت أطول من الكل ، وأخرى

اقصرها ، واثنتان لا تشـــبهان الأخريات فى اللون .. وكانت الأربع الأخرى من نفس اللون والحجم ، واذن فيمكن أن يكونا زوجى جوارب .. ولكن كان من المحتمل بنفس القدر أن تكون الأربع هى (فردات) لأربعـــة ازواج جوارب متماثلة ..

وقد خامرنى بعض الأمل فى حقيقة تذكرتها وهى اننى أمام ثمانى (فردات) جوارب فى حين انه لم تقع سوى ست جرائم قتل .. ولكننى لم البث ان تذكرت جريمة كانساس وجريمة شيكاغو اللتين افترض البوليس أنهما تقليد من مجنونين آخرين لسفاح الجوارب بعـــد أن قرآ قصته ..

كان لايل يقوم برحلات الى كلتا المدينتين .. ولهذا قررت أن أتحرى عما اذا كان قد ذهب الى اية مدينة منهما او اليهما معا فى وقت وقوع الجريمتين ..

كان لابد أن افعل هذا بهدوء ودون أقل ضجة .. كان لابد أن أتأكد وأستوثق تماما قبل أن اذهب الى البوليس .. وكان لابد من أن اضمن بنفس القـــدر ابقاء اسمى كمبلغ طى الكتمان .. اننى لم أرد بحال أن أدع أختى تعيش مع قاتل مجنون ، لكننى لم أرد كذلك أن تطردنى من حياتها .. والواقع انه حتى لو كان لايل مجرما ، فقد كنت موقنا انها لن تغفر لى أبدا قيامى بالتبليغ عنه ..

ومن حسن الحظ أن الوقت كان متســـعا لاجـــراء التحريات الوافية .. فقد كنا لا نزال فى يوم الخميس، ولن يعود لايل من شيكاغو قبل ستة أيام ..

هكذا اعدت جوارب النايلون الى علبة الصـــفيح واغلقتها بفاتحة الاقفال .. وبعد ذلك بحثت فى باقى

الادراج الى أن عثرت على المثقاب المطلوب ، فصعدت الى المنزل وقمت بتركيب المزلاجين على البابين الأمامى والخلفى ..

وحول مائدة العشاء قلت لأختى مارتا عرضا :

ـ ان لايل يذهب الى شـيكاغو أحيـانا ، أليس كذلك ؟..

فأجابت قائلة :

ـ أنه لا يذهب الا مرتين فى السنة تقريبا .. وفى المرة الأخيرة كان ذلك فى عيد الشكر .. هل تتذكر ؟..

وقد تذكرت فعلا .. فان مارتا دعتنى للعشاء فى عيد الشكر ، وكان لايل مسافرا اذ ذاك .. وقـــد حاولت أن أتذكر متى وقعت جريمة شيكاغو ، لكن كل ما تذكرته هو أنها حدثت فى وقت ما فى الشــتاء الماضى ، وقررت أن أبحث هذه المسألة فى الجـريدة غـــدا ..

وقلت ردا على سؤالها :

ـ نعم .. تذكرت .. وكانت رحلته الى كانساس متفقة مع أحد الأعياد أيضا ، أليس كذلك .. ؟

ـ آه .. لا .. كانت فى الصيف الماضى ، حوالى منتصف يونيو ..

وقفت بالحديث عند هذا الحد ..

وفى صباح اليوم التالى ما كدت أصل الى الجريدة حتى نزلت الى قسم المحفوظات فى البدروم ..

ان جريمة كانساس حدثت يوم الأربعاء ١٦ يونيو، فى العام الماضى .. وجريمة شيكاغو حدثت يوم الجمعة ٢٦ نوفمبر ، وهو اليوم التالى لعيد الشكر ..

عدت الى مكتبى واتصلت تليفونيا بالدكتور سام كارتر فى منزله .. وكان اتصالى به فى المنزل بدلا من المكتب لأن الساعة لم تكن قد جاوزت الثامنة الا بدقائق، وهو لا يصل الى المكتب قبل التاسعة ..

كان سام طبيبا نفسانيا مشهورا ؛ ولكنه كان زميلى فى جامعة واشنطون عندما كنت أدرس الصحافة وقبل أن يتخصص هو فى الطب ، وقد جمعتنا زمالة وطيدة.. ولبثنا بعد التخرج على اتصال ، وما زلنا صديقين حميمين ..

وبعد الاتصال التليفونى وافق سام على أن يستقبلنى فى الساعة التاسعة بعد الغاء موعد مقرر ..

وفى الموعد المحدد ادخلتنى سكرتيرة الاستقبال الى مكتبه .. وكان سام فى مثل سنى ، وهو الخامسة ، والثلاثون ، ولكنه كان أوفر وسامة .. وكان فارع الطول نحيلا ، قوى الملامح ، ولكنه بشوش ، يعلو رأسه شعر كثيف وخطه الشيب .

وأشار الى مقعد جلدى أمام مكتبه قائلا :

— اجلس يا تود ... ام تحب أن تتمدد فوق مقعد التحليل ؟ ...

فجلست أمامه قائلا :

— أن زيارتى ليست خاصة بمشكلة شخصية ... اننى أريد بعض المعلومات ...

— لا بأس ... هات ما عندك ...

فقلت له :

— هل يمكن أن يكون القاتل المشهور باسم (سفاح الجوارب) رجلا متزوجا سعيدا فى حياته الزوجية ، وابا بارا ، ومحبا لزوجته ؟ ...

بدا الاهتمام على سام ، وقال :

ــ ممكن ... فقد وجدت حالات تحول فيها ازواج سعداء الى مجرمين جنسيين ... وكنت أظن أن (سفاح الجوارب) كان أعزب ، ولكن ليس من المستحيل أن يكون رجلا بالاوصاف التى ذكرتها لى ...

ــ حسن ... السؤال الثانى ... اذا كان الشخص الذى أعنيه هو (سفاح الجوارب) ، فانه يحتفظ بفردات الجوارب التى يستخدمها لخنق ضحاياه فى علبة مقفلة من الصفيح ... فلماذا يفعل ذلك ؟ ...

هز سام كتفيه ، وقال :

ــ أنا طبيب نفسانى ولست منجما ... واذا أردت بعض الآراء الاجتهادية ، قلت لك أنه ربما يحتفظ بها سجلا لضحاياه ، كما كانت بعض القبائل تحتفظ بفروات رءوس ضحاياها تذكارا للنصر ... وربما كانت عنده لوثة جنسية كالاحتفاظ بقطعة من الملابس كما يفعل بعض الشواذ ... أو ربما يحتفظ بهذه الجوارب لكى يحشو بها وسادة ! ...

فقلت ممتعضا من تهكمه :

ــ لقد أخطأت المهنة الملائمة لك يا صديقى ... كان يجب أن تكون ممثلا كوميديا ... هل يمكن أن تسدى الى خدمة ! ..

ــ بالتأكيد ، طالما انها قانونية ولا تتعارض مع التعاليم الطبية ...

ــ هو كذلك وليس كذلك ... لكننى اولا أريد التأكيد لى أن ما سأقوله لك هو شىء شخصى تماما .

فاومأ قائلا :

ــ ان أكثر ما اسمعه فى هذا المكتب هو أشياء شخصية ...

فتنفست عميقا ، وقلت :

ـــ أظن أن (سفاح الجوارب) هو لايل بارتون ...

حدق الى فى دهشة ، قائلا :

ـــ زوج أختك مارتا ؟ ...

ـــ نعم ...

ـــ وعلى أى أساس اقمت هذه النظرية البعيدة التصديق ؟ ...

فحدثته بالتفصيل عن كل شيء ، بما فى ذلك قصه مرض لايل العقلى ...

وعندما فرغت لم يعد تبدو عليه الدهشة ، بل علائم التفكير فقط ، وسألنى :

ـــ ما هى الخدمة التى تريدها منى ؟ ...

ـــ أريد أن تفحص تاريخ لايل من ناحيـــة المرض النفسانى ... وبما أنه يجرى سنويا فحوصا طبية فى مستشفى جيفرسون العسكرى لاستمرار حصوله على تعويض الحرب الجزئى ، فأظن أن التقارير الطبية عن حالته فى الخدمة العسكرية موجودة فى المستشفى ... من الاسهل بالنسبة لك كطبيب نفسانى أن تطلع على هذه التقارير ...

ـــ لا صعوبة فى هذا ، فانا فى عداد الهيئة الطبية هناك ... ان سجله لابد أن يشتمل لا على التقارير الطبية فى الجيش فقط ، بل أيضا على التقارير الخاصة بحالته فى مستشفى الأمراض العقلية فى ريسكونسن موطنه الاصلى ... مما لا شك فيه أن يكون مستشفى جيفرسون قد طلب هذه التقارير أيضا ...

فقلت له :

ـــ ومتى يمكنك أن تذهب الى هناك ؟ ...

ـــ ليس قبل هذا المساء ، نظرا لارتباطى بمواعيد

محددة حتى هذا الوقت ...

فقلت له :

ــ لا بأس ... لا يزال هناك خمسة أيام للعمل فى خلالها ... ما رأيك فى الاتصال بى تليفونيا بمنزل مارتا بعد عودتك من المستشفى ! ...

ــ اننى سأحتاج الى فترة لتقييم ما أجده من التقارير ، وافضل أن يكون اتصالنا صباحا ...

ــ حسن ... لا أريد أن أجعلك تلغى مواعيد أخرى ... هل يمكن أن تستقبلنى هنا فى الساعة الثامنة صباح غد ؟ ...

ــ سأقوم بهذه التضحية اذا شئت ...

فقلت له :

ــ ليست تضحية بالنسبة لى ... فاننى ابدا عملى فى الجريدة الساعة السابعة والنصف ...

* * *

فى صباح الخميس وصلت أنا وسام الى مكتبه فى وقت واحد ... وجلس الى مكتبه مشبكا يديه فوق بطنه وقال لى :

ــ لقد وجدت أشياء طريفة فى سجل لايل الطبى ... هل تعرف أن والده خنق والدته ، ثم انتحر باطلاق الرصاص على رأسه ! ...

فقلت بدهشة :

ــ ان مارتا لم تخبرنى بهذا ابداً ! ... متى ؟ ...

ــ عندما كان لايل فى الثانية عشرة من عمره ... وطبقا لما ذكره الطبيب النفسانى الذى أشرف على علاجه فى مستشفى ويسكونسن للامراض العقلية ، فانه كان يشعر بأن أمه استحقت ما أصابها ... كان يكرهها ،

ويحب اباه ... وقد وصفها بأنها كانت امرأة جميلة ، ولكن مخادعة ... والظاهر أنه استشعر فى سن مبكرة جدا أنه كان لها عشــاق متعددون ... وقد استخلصت مما ورد فى السجل أنها لم تبذل أى محاولة لاخفاء ذلك عنه ؛ لكنها كانت تهدده بالضرب اذا أفشى السر لوالده ... أنه لم يذكر له شيئا أبدا ؛ لكنه تعمد ذات يوم عدم ابلاغها رسالة تليفونية من ابيه على أمل أن يكتشف والدته الحقيقية .. وكان والده قد اتصـل تليفونيا من خارج المدينة بأنه سيعود قبل موعده المنتظر بيوم ، وانه سيصل حوالى منتصف الليل ... ونتيجة لتهاون لايل فى ابلاغ هذه الرسالة ، فان والده عند وصوله وجد زوجته فى الفراش مع رجل آخر ...

ــ وقتلها ؟ ...

ــ لم يقتلها فى ذات الوقت ... لقد طرد العشيق ، وحمل عليها حملة نارية ، ثم تغيب خمسة أيام استسلم فيها للسكر ... وبعد عودته وهو لا يزال تحت تأثير السكر خنقها ثم أطلق الرصاص على رأسه ...

فقلت له :

ــ وهكذا أصيب لايل بعقدة الذنب لأنه تسبب فى هذه الفاجعة ؟ ...

فنظر الى سام بشىء من الامتعاض قائلا :

ــ ان تعبير (عقدة الذنب) تلوكونه أنتم وغيركم بمناسبة وغير مناسبة ... ان جميع التقارير الطبية النفسانية عنه لم يرد فيها أى شىء يفيد شعوره بأى ذنب فى مصرع أبويه ... انه حزن أشد الحزن لموت أبويه ، ولكنه القى اللوم على أمه ؛ لا عليه هو نفسه ، وقد أبدى سعادة متناهية لانه كان مسئولا بصفة غير

مباشرة عن مقتل أمه ... لقد شعر أنه كان اداة في مسح العار واستئصال الشر ...

فقلت له :

ــ لا بأس ... ان لم تكن (عقدة الذنب) ، فما هي اذن ؟ ...

ــ الارجح انها مجموعة مختلطة من المشاعر ... ان هــذه الأمور ليست من السهولة كما يتصور أي انسان ... لكن أوضح ما يتجلى في هذه الحالة هو أنه أصبح يضمر شكا قويا في النساء الجميلات ... وبغير رغبة في جرح مشاعرك الخفية ؛ أظن أن هذا ربما كان هو السبب في اختياره أختك مارتا زوجة له ... فربما شعر أنه يمكنه الاطمئنان الى انها لن تخدعه كزوجة ...

فقلت له :

ــ ليس هناك جرح لمشاعر أحد ... فليس في أسرتنا من فاز في مسابقة جمال ! ... اذن فان عقدته هي ببساطة كراهيته للنساء الجميلات ؟ ... وفي كل مرة كان يقتل فيها امرأة جميلة ، كان في خياله يقتل امه ؟ ...

فبانت في وجهه نظرة الامتعاض مرة ثانية ، وراح يقول :

ــ لا تتكلم بلساني يا تود ... لو كان من الممكن أن يأتي لايل الى هنــا ليجلس على مقعــد التحليل النفساني بضع جلسات ؛ فربما استطعت أن أتعرف على دوافعه ، لو صح أنه هو (سفاح الجوارب) ... لكنني لا أقوم بالتشخيص على البعد ... وربما تسنى هذا ، لكنه يكون من باب التخمين ، وتبقى فيه ثغرات كبيرة من نواحي علم النفس والتحليل النفساني ...

اذا كان لايل يختار ضحاياه كبديلات لأمه المحتقرة . فلا يجب أن يكن جميلات فقط ، بل أيضا خائنات ...

فقلت له بعد فترة تفكير :

ــ ربما كن كذلك ... فقد كن كلهن متزوجات ...

فهز كتفيه قائلا :

ــ وكيف كان لايل يعرف انهن خائنات ، لو كن كذلك ؟ ... لم يكتشف وجود أية علاقة بين أية واحدة من الضحايا ... واذن فكيف يمكن أن يتقابل مع ست نساء جميلات متزوجات كل منهن على انفراد وكل منهن لا تعرف الاخرى ! ومع ذلك تتوثق معرفته بهن الى الحد الذى يعرف معه انهن يخن ازواجهن ! ...

طرأ الجواب على ذهنى فى ومضة الهام خاطفة . اذ قلت :

ــ عن طريق زياراته لاصلاح التليفزيونات ...

ــ عفوا ؟ ...

ــ ان لايل يشتغل فى وقت فراغه باصلاح التليفزيونات مساء ... ربما كانت كل أولئك النسوة من زبائنه ... وربما طارحته كل منهن الحب ... انه هو نوع الرجل الذى تسعى الزوجات الساخطات على حياتهن الزوجية الى خطب وده ... فهو فى البنية كالمصارعين ، وفى الوسامة كتماثيل آلهة الاغريق ...

زم سام شفتيه ، ثم هز كتفيه مرة أخرى قائلا :

ــ اذن فلماذا لم يقتلهن وهن يطارحنه الغرام ؟ ..

فأجبت على الفور :

ــ المسألة مسألة فرصة ... ربما كان الزوج فى البيت ولكن فى غرفة أخرى ... وربما كان الاولاد يلعبون عن كثب ... أو ربما كان الارجح أن الوقت كان مبكرا وفى استطاعة الجيران رؤيته عند حضوره وعند

انصرافه ... تذكر أنه كان يقوم بهذه الزيارات فى المساء المبكر ... ولست اقول أن الضحايا كن يستدعينه الى غرفة النوم ... ربما كان يكفى التلميح له بأنهن رهن مشيئته اذا أراد أن يعود فى وقت يكون فيه الزوج خارج البيت ... الا يكفى ذلك لاطلاق نقمته ؟ ...

فقال الطبيب النفسانى :

ــ جائز ... ولا يمكننى ان اجزم باحتمال شىء كهذا قبل استقدام لايل للجلوس على كرسى التحليل ...

فقلت له وأنا انهض :

ــ أنك بطبعك العلمى اميل الى التشكك قبل أن تتوصل الى درجة اليقين ... أما أنا فان هذا القدر يكفينى لكى اذهب به الى برميستر مفتش البوليس السرى ، وسأذهب فى الحال ...

كان فريتز برميستر هو المختص بتحقيق قضية (سفاح الجوارب) ، وقد وجدته فى مكتبه بادارة المباحث الجنائية ... وكان رجلا بدينا فى نحو الخمسين من عمره ، تبدو عليه سمات التجهم ... وقد استقبلنى بمودة لا تخلو من خشونة ، قائلا :

ــ أهلا بطويل الانف ... اجلس وارح عظامك ..

فقلت وأنا أجلس أمام مكتبه :

ــ ما رأيك فى عملية تختم بها قضية (سفاح الجوارب) ؟ ...

فبدا الاهتمام على وجهه قائلا :

ــ هذا أحب شىء عندى ...

ــ بامكانى أن اقدم لك دفعة قوية ... ولكن بشرط ...

فقال متبرما :

ــ لا بأس ... هل هو سبق صحفى ! ...

فهززت رأسي قائلا :

ـــ أريد ضمانة بأنك لن تفشى لأى انسان من أين استقيت معلوماتك ، وبأننى لن استدعي كشاهد فى محاكمة ...

فرفع حاجبيه قائلا :

ـــ هل سنحتاج الى دليل الادانة منك ؟ ...

ـــ لا ...

ـــ حسن ... لك ما تريد ...

فأخبرته بالقصة كاملة ...

وعلى أساس ما ذكرته ، قام المفتش برميستر باعادة سؤال ازواج الضحايا الست ... فقرر ثلاثة منهم أن رجال اصلاح التليفزيون قد دعوا الى منازلهم ... ومن سوء الحظ فى حالتين كانت ترتيبات الاستدعاء قد اتخذت بمعرفة الزوجتين ، وكان الزوجان غائبين عند حضور عامل الاصلاح ، ولم يعرف أيهما شخصيته ... وكان الرجلان الغائبان عن المدينة عندما قتلت زوجة كل منهما من معتادى الاسفار للعمل ... ولم يعرف كلاهما أى شىء عن عملية اصلاح تليفزيون تمت فى بيته ، ولكنهما قررا أن من الجـائز أن تكون زوجتاهما قد استدعتا رجال الاصلاح وتهاونتا فى ابلاغ الزوجين ... وقرر الرجل السادس أنه يتأكد أنه لم يزر بيته أحد من مندوبى اصلاح التليفزيون ... ولكن الرجل الذى استدعى مندوب الاصلاح بنفسه ذكر أنه استدعى لايل بارتون لهذا الغرض ، وأن عنده شيكا ملغيا لاثبـات ذلك ...

ولم تتحقق أية نتيجة من الاعلان الذى نشر بعد القبض على لايل لمعرفـة من قام بعملية اصـلاح التليفزيون فى المنزلين اللذين لم يعرف فيهما الزوجـان

من قام بهذه العملية ، ولكن امورا أخرى تكشفت قبل ذلك ..

ففى يوم الجمعة هبط المفتش برميستر على مارتا ومعه أمر رسـمى بالتفتيش .. وتقديرا منه لطلبى قرر لها أن حضـوره هو نتيجـة لمعلومات تلقاها البوليس بأن زوجها قام بزيارة لاصلاح التليفزيون فى منزل احدى ضحايا (سفاح الجوارب) وأنه ربما قام بزيارات مماثلة لضحايا أخريات ، وان البوليس يريد فحص سجلات الاصلاح التى يحتفظ بها ..

والواقع ان مارتا انزعجت أشد الانزعاج بسبب هذا التفتيش ، لكن لم تكن لديها أيـة فكرة بانتى السبب ..

وقد عثر برميسـتر على الحقيبة الجلدية وعلبة الصفيح فى المكان الذى ذكرته له ، لكن سجلات لايل لم تتضمن قيامه بأية زيارات لاصـلاح التليفزيونات فى منزل أية واحدة من الضحايا ، فيما عدا الحالة التى عرف برميستر بأمرها سلفا ..

وثبت أن ستا من (مفردات) الجوارب التى عثر عليها برميستر فى علبة الصفيح مشابهة لمثيلاتها التى استخدمت فى خنق الضحايا .. وذكر المعمل الجنائى انه لا سبيل الى الجزم بأنها متطابقة ، لأن جوارب مثلها تصنع بالملايين ، ولكن يمكن على الأقل الأخذ بهذا التطابق .. وقد أرسلت (الفردتان) الباقيتان واحدة الى مدينة كانسـاس والأخرى الى مدينـة شيكاغو ..

والحق ان الصدمة كانت شديدة على مارتا ، حتى خفت أن تصاب بانهيار عصبى .. ولهذا قررت أن استمر فى الاقامة معها خوفا من عواقب وحدتها ..

وطبيعى اننى انسحبت من متابعة هـذه القصة كصحفى ، لصلتى الوثيقـة بابطالها ، ولكننى كنت أتابعها عن طريق برميستر لمعرفة كل ما يجد ..

كان برميستر مقتنعا بأن لايل هو السفاح ، ولكن عناصر القضية لم تكن مكتملة لتقديمها الى المحكمة .. فمثلا لم يعثر فى سجل اصلاح التليفزيون عند لايل الا على زيارة لواحدة فقط من الضحايا .. وكان برميستر مقتنعا بأنه زار على الأقل المنزلين اللذين عرف أمرهمـا للبوليس ، وربما زار أيضـا منزلى الزوجين الغائبين فى السفر .. وقد بدأ له أن لايل كان من الدهاء بحيث لا يسجل شيئا عن تلك الزيارات فى سجل اصلاح التليفزيون ، ولكنه سجل فقط تلك الزيارة التى دفع له أجرها بموجب شيك ، اذ يمكن اثبات أمر هذه الزيارة ..

ولكن المفتش برميسـتر ما كان ليستطيع تقديم مجرد قرائن استنتاجية أمام المحكمة ..

وهناك عقبة أخرى وقفت فى طريق برميستر هى التقارير التى وردت من مدينتى كانساس وشيكاغو .. فقد تبين عدم مطابقة الجوارب المضبوطة لأى من الجوربين اللذين اسـتخدما فى خنق الضـحيتين فى المدينتين .. كما ثبت أيضا أن لايل عاد الى مدينة سانت لويس من مدينة كانساس فى اليوم السـابق لوقوع الجريمة بهذه المدينة .. وهكذا بدأ أن نظرية البوليس الأصلية الخاصة بارتكاب الجريمتين بفعل سفاح مقلد هى نظرية صحيحة ، اذا كان لايل بارتون هو (سفاح الجوارب) الأصلى فعلا ..

وكان برميستر يرى تفسيرا محتملا لهذه الانتكاسة ولكنه تفسير لا يمكن أن تأخذ به المحكمة .. كانت

نظرية برميستر فى هذه النقطة هى أن لايل قد تسلل الى هذين المكانين وفى نيته ارتكاب جريمة القتل ، ولكنه وصل فقط الى حد وضع اليد على الجوارب الذى يستخدمه أداة للقتل ، ثم جد شىء روعه وجعله يبتعد قبل اتمام الجريمتين حاملا معه الجوربين ..

وعلى الرغم من هذه المعوقات فان المفتش برميستر كان مقتنعا بأن قضيته سيكون لها قوتها أمام المحكمة .. فسوف يكون من الصعب على الدفاع عن المتهم ان يفسر أسباب وجود عدة اللصوصية وعلبة الجوارب التى اشتملت على ست (فردات) جوارب مطابقة للست التى استخدمت فى ارتكاب الجرائم .. بل لقد أمكن فى عملية تفتيش ثانيــة لمنزل لايل العثور على بنطلون أسود وسويتر أسود طويل الــكم وقلنسوة سوداء فى دولاب ملابسه .. وقد طلب الى الشاهدة التى أبصرت ذات مرة (سفاح الجوارب) من الخلف ووصفته بأنه كان يلبس ملابس سوداء مماثلة — طلب الى هذه الشاهدة أن تعاين لايل من الخلف مرتديا هذه الملابس .. ومع انها لم تستطع أن تتثبت من أنه هو نفس الرجل الذى شاهدته تلك الليلة ، الا أنها كانت على استعداد للشهادة أمام المحكمة بأنه يماثل ذلك الرجل فى الطول والبنية عموما ..

وفوق هذا كله فان تاريخ لايل المرضى النفسانى كان كفيلا بالتأثير على هيئة المحلفين ..

ومن ناحية مارتا فانها رغم شــدة الصــدمة قد استطاعت ان تتمالك وتسيطر على أعصابها ، وان بقيت رغم ذلك ممتقعة وقد رفضت حتى الأكل .. وفى خلال ذلك تكفلت صديقه لهــا برعاية الطفل تود فى

منزلها ، وتيسر ان تهدأ مارتا عمــا كانت لدى أول عهدها بالصدمة ..

والواقع أنه حتى فى مواجهة القرائن الدامغة ضد زوجها ، فانها راحت تنكر بكل قوة امكان قيامه بارتكاب تلك الجرائم .. ولهذا الغرض اســتعانت بالمحامى جورج تينكو أحد مشاهير المحامين فى سانت لويس للدفاع عن زوجها ..

رافقتها عند ذهابها الى المحامى للمناقشة فى اعداد خطة الدفاع ، وذلك بعــد مقابلة المحامى لزوجها فى السجن ودراسة الادلة القائمة ضده ..

وقد بدأ المحامى كلامه قائلا لمارتا :

ــ ان الادلة المقدمة ضــد زوجك هى أدلة مادية صرفة يا مسز بارتون ، ولابد للاتهام من اثبات ادانته بما لا يدع مجالا لأى شك .. وكل ما نستطيع ان نقوم به هو القاء الشك على هذه الأدلة ..

فقالت مارتا :

ــ وكيف تنوى أن تقوم بذلك ؟ ..

ــ لنبدأ أولا بموضوع عدة اللصوصية المزعومة .. هذا هو وصف الاتهام لها ، ولكننا سوف نسميها عدة الطوارىء لاصلاح الأجهزة الالكترونية .. ان زوج اختك قد شرح لى كيف ان فاتحة الاقفال المزعومة يمكن استخدامها كأداة لاختبار حالات الماس الكهربائى وكيف يلزم لهذا الغرض اســتخدام القفــاز كعازل ضرورى ..

ولاحظت ان المحامى لم يذكر مسألة قاطعة الزجاج (والشفاطة) المطاط ، فقلت له :

ــ وكيف تنوى ان تفسر حكاية الجوارب !

فأجاب المحامى .

ــ آه .. لسنا مطالبين بهذا التفســـير .. ان للاتهــام ان يثبت ان الجوارب المضــبوطة مطابقة للجوارب التى استخدمت فى ارتكاب الجرائم ، ولاشك ان الجوربين السابع والثامن سوف يلقيان ظلالا على سلامة أدلة الاتهام .. لكننا لسنا مطالبين بأن نفسر سبب احتفاظ المتهم بجوارب نايلون فى علبة مقفلة .. لا يهمنى اذا عدته هيئة المحلفين شــاذا .. ولكننى اريد فقط الا يعدوه قاتلا ..

وعلى هذا النمط ايضا رأى المحامى أنه يمكنه القاء الشك بصدد مقابلته لايل لضحاياه لاصلاح التليفزيونات الخاصة بهن .. فمــا دام لم يعرف شخص من قام بالاصلاح فى حالتين ، فان الشك يمكن أن ينسحب لصالح لايل فى الحالات الأخرى ، فيما عــدا الحالة التى أعترف لايل بقيامه فيها بالاصلاح ، وهى حالة يمكن أن يقنع المحامى فيهــا المحلفين بأنها من قبيل المصادفة البحتة ..

وعند انصرافنا من مكتب المحامى كان شعورى أنه ليس لديه أمل قوى فى تبرئة ساحة لايل ، وأنه كان متفائلا لمجرد بث الطمأنينة فى نفس مارتا .. وبنظرة الى وجهها المتجهم أدركت أنه ترك لديها نفس هذا الانطباع ، ولكننى لم أقل شيئا ..

وعند هذا الحد بدأ من مارتا انها لم تعد فى حاجة الى استمرار وجودى عن كثب منها .. فقد أعادت طفلها تود الى البيت ، وعدت أنا للاقامة فى مسكنى الخاص .. وكنت أتردد عليها دواما للاطمئنان عليها ، وفى حين انها كانت فى حالة غم وانقبــاض بالغين ، فانها كانت تتظاهر بالتجلد والتماسك .

وحدد موعد المحاكمة بعد ستة أسابيع من تاريخ القبض على لايل ، وهو ما يوافق منتصف شــهر مايو .. وتصادف قبل أسبوع من هذا الموعد اننى كنت أمارس عملى فى الجريدة عندما جاء نبأ بوقوع جريمة قتل فى (دوفر بليس) فى منطقة جنوب المدينة ، فتطوعت بتغطية أنباء هذا الحادث ..

ولم أدرك الحقيقة الا بعد أن وصلت الى (دوفر بليس) ، وعرفت أنه الشارع الخلفى لشارع (بلريف) وان المنزل هو المنزل الذى يواجه بيت لايل ومارتا من الجهة الخلفية ..

وعند وصولى شاهدت أشخاصا عديدين فى الغرفة الامامية ، منهم اثنــان من رجال البوليس بالزى الرسمى ، ومندوب المعمل الجنائى ، وشاب فى نحو الثلاثين من عمره جلس فى مقعد وهو بادى الذهول ، والمفتش فريتز برميســتر .. وكان منــدوب المعمل الجنائى على وشك الانصراف ، بعد أن أتم فى عمليته كما يبدو ..

وعندما نظرت متسائلا الى الشاب الجالس ، قال برميستر :

ــ الزوج .. تعال معى الى فوق ..

تبعت المفتش الى الدور العــلوى .. وفى نفس غرفة النوم التى أطلت عليها مــرة من نافذة مطبخ أختى مارتا ، رأيت نفس الشقراء التى راقبتها وهى تتجرد ، ممددة فى الفراش بقميص النوم .. وكان وجهها أرجوانيا ومحتقنا بصورة بشعة .

بعد أن التف جورب نايلون معقودا باحكام حول رقبتها ..

وقال لى المفتش باعياء :

ــ ان الزوج عثر عليها بهذه الصورة عند عودته الى البيت صباح اليوم .. فهو يشتغل ليلا .. انها نفس القصة القديمة المتكررة التى عرفناها .. ولم يحدث اعتداء جنسى ! ولم توجد بصمات .. وكان بابا البيت الأمامى والخلفى موصدين بالمزلاج .. وعثرنا على كسر فى زجاج الباب الخلفى هو عبارة عن فتحة مربعة صغيرة تمت بعناية مجاورة للمزلاج مباشرة . وكالمعتاد أيضــا ، وجدنا (فردة) الجورب الثانيــة مفقــودة .

فقلت وأنا ابتعد بنظرى عن القتيلة :

ــ وما الذى يترتب على هذا بالنســبة الى لايل بارتون ؟ ..

فأجاب بنفس لهجة الاعياء التى آنستها منه :

ــ أنه يبرئه .. كيف يمكن بحق جهنم أن يكون هو (سفاح الجوارب) ، فى حين أنه محبوس فى زنزانة سجن تحت الحراسة المشددة ؟ ..

وبعد ، فهذه أيها القارىء هى نهاية القصة تقريبا .. لقد أطلق سراح لايل بارتون بكل الاعتذار اللازم ، وهو ينعم الآن مع مارتا بالسعادة التامة ..

ولم تحدث بعد ذلك جرائم قتل بالجوارب ، ولكننى كنت مع العهد الأخير أفكر مليا .. فقد تذكرت ماقالته لى مارتا وهى فى ابان محنتها : « ان احساسى نحو لايل يجعلنى استمر فى حبه حتى لو كان مخبولا مختــل العقــل .. اننى لا أتــردد أن افعــل أى شىء من أجله .. » ..

كنت دائم التفكير فى كلمات مارتا تلك ، وفى أنها تلقتنى تدريبا على (الجودو) وهى ممرضة فى الجيش .. أن تدريبا مدته ساعة كان أسبوع لمدة اثنى عشر أسبوعا لا يكفى بالتأكيد لكى تفوز بالحزام الأسـود وهو شارة أبطال اللعبـة ، ولكنه يكفى قطعا لكى تصارع امرأة أقل منها حجما وتتغلب عليها ! ..

وبالمثل يستطيع اى انسـان أن يشترى قاطعة زجاج .. فهى تباع فى كل مكان ! ..

وفى آخر مرة دعتنى فيها مارتا وزوجها للعشاء ، صحبنى تود الصغير الى البدروم لكى يرينى شيئا .. فقد أزيل الفاصل الذى كان يقسم البدروم ، ولم يبق أثر للورشـة التى كان يقـوم فيها لايل باصـلاح التليفزيونات ..

وقد خشيت أن أسأل لماذا ترك لايل عملية اصـلاح التليفزيونات بصفة نهائية ، ولكن احساسا داخليا كان يراودنى بأن مارتا قد أصرت على هذا اصرارا ، لمنع كل اغراء فى المستقبل ! ..

التوزيع فى ج. م. ع : مؤسسة الاهرام

التوزيع فى جميع الدول العربية

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ــ بيروت . لبنان

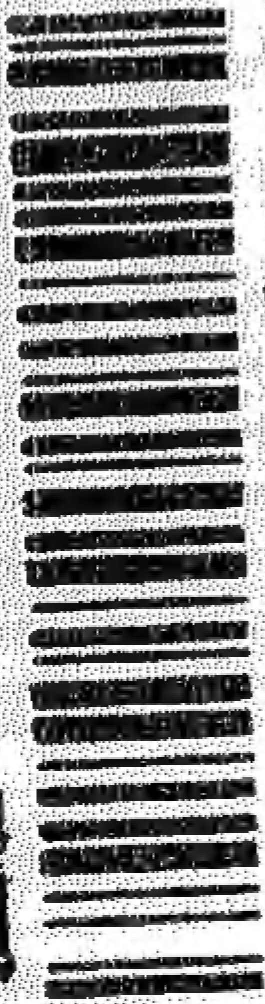
رقم الايداع ٣٤٩٨ / ١٩٧٧	
الترقيم الدولى ٣ ــ ٢٩ ــ ٧٠٢٦ ISBN	

مطابع الاهرام التجارية

لعبة الجريمة

هاجرت جويندا من نيوزيلانده الى انجلترا ، واشترت فيها بيتا ، رأت فيه شواهد عجيبة ، تدل على أنها تعرف كل ركن فيه ، على الرغم من أنه لم يسبق لها أن رأته قبل ذلك ، وخشيت أن تكون قد أصابها مس من الجنون .

ولكن مس ماربل تخف إلى نجدتها ، وتكتشف أن جويندا أقامت فى ذلك البيت ، منذ ثمانية عشر عاما ، وهى طفلة فى الثالثة من عمرها ، وأن وقعت فيه منذ ذلك الوقت ، ولم يعلم استيقظت الجريمة وتكلمت من جديد .



الثمن ١٥ قرشا
فى ج . م . ع